BOBST LIBRARY
3 1142 01242 8408

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

DATE DUE

74-960696

محمد مهدي الجواهري

بريد العوده

بريدُ العودة ...

al Jawhari, Muhammad Mahdi

محمد مهدي الجواهري

/Barid al-ʻawdah/

بريد العودة ...

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٩

PJ
7840
.A85
B3
c.1

PJ
7840
.A944
B3
c.1

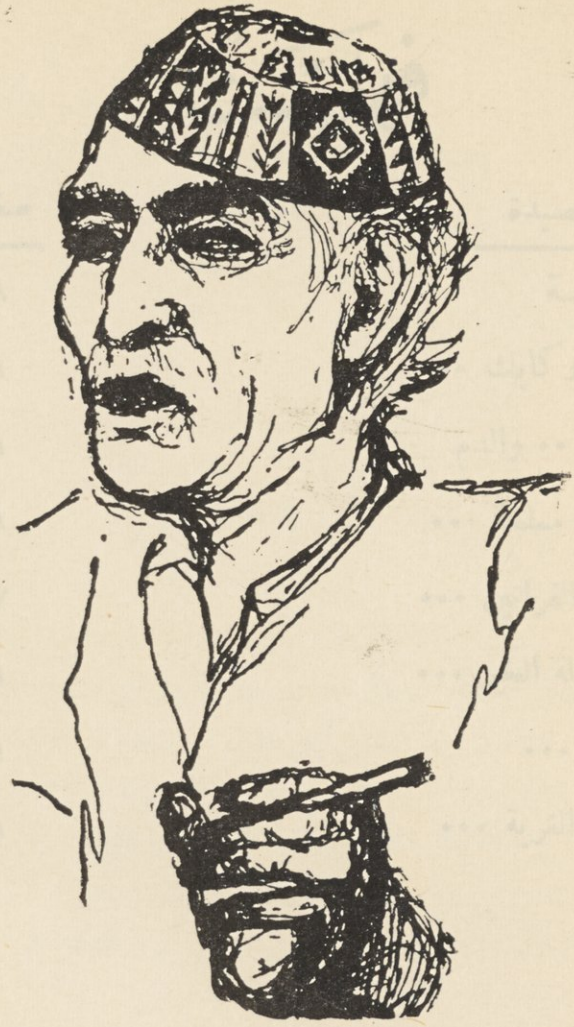

(بريشة الفنان رافع الناصري)

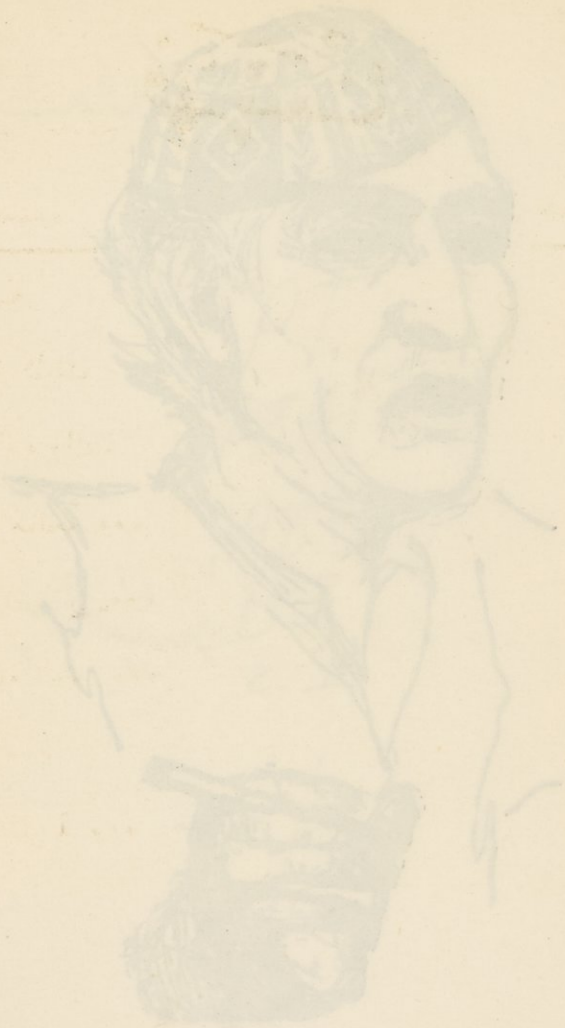

فهرست

القصيدة	صفحة
كلمـــة	٩
أرح ركابك ..	١١
الفداء .. والدم	٤١
رسالة مملحة ...	٦٩
يابن الفراتين ...	٩٧
يا دجلة الخير ...	١٣١
براغ ...	١٧١
بريد الغربة ...	١٨١

صفحة	فصل
٩	١
١١	٢
١٣	٣
٢٣	٤
٣٧	٥
٤٧	٦
١٢١	٧
١٧١	٨
١٨١	٩

كلمة

لتداعي الافكار ، وتلازمها أثر حاد وفعال في انجاز كثير من الاعمال التي يكون القائمون بها بعيدين كل البعد عن توقع انجازها ، فضلا عن تحقق هذه الانجازات . وهذا ما حدث لي بالفعل ، وانا أدفع بهذا الديوان الجديد « بريد العودة » الى أسنان المطبعة وأمشاطها .

فمنذ عودتي من « البراغ » المغترب المفضال الذي عشته نيفا وسبعة أعوام ، ومنذ ان استهللت تعاطي القوافي على أديم الوطن من جديد ، كانت قصيدة « الفداء .. والدم » ، أول عطاء شعري .

وقرأت في اليوم التالي في احدى الصحف العراقية اقتراحا لصديق أديب يرتأي فيه أن تلقى هذه القصيدة بصوتي ، وعلى طريقتي في الالقاء زيادة في توضيحها ، وفي تقريبها الى الاذهان .

وكان هذا فكرة ، سرعان ما انشدت بها فكره :

لو طبعت القصيدة هذه لوحدها مشكولة ، واضحة الحروف ، وافية الشروح . وكان ان تحدد فى زحمة هذه الافكار موعد الحفل التكريمي الذى أقيم لي فى بغداد فتحددت معه قصيدة جديدة ، هى قصيدة «ارح ركابك..» وبذلك توسع حجم الفكرة ، وحجم « الدويوين » من جديد .

وباشرت بالعمل ، وراجعت « مطبعة المعارف » .

وتحدد موعد تقديم القصيدتين ، وشرحهما ، فأعجلني عن ذلك سفر جديد ، ومرت شهور عدة ، كان من جرائها أن تنضم الى القصيدتين قصيدتان ليصبحا أربعة ، وهما :

قصيدة « رسالة مملحة .. من مشارب « سلوفينسكي دوم » الى السيد عماش »

وقصيدة « يابن الفراتين » فى مؤتمر الادباء التاسع .

وعندما كنت على بعد العيوق من فكرة اخراج هذه القصائد ، مضافاً اليها قصيدة ، « يا دجلة الخير » ، وقصيدة « براغ » ، وقصيدة « بريد الغربة » ، وذلك لخلو أيدي الجمهور العراقي منها أولا ، ولقربها وهى فى « بريد الغربة » .. من « بريد العودة » هذا ، وجدتني محمولا على جناحين من تشجيع قوي ، ومعاونة حميدة من صديقيّ الاديبين « رشيد بكتاش » و « عبدالغني الخليلي » ونازلا على حكمهما مشكورين ، محمودين ..

وانني اذ اقدر أكثر من أي أحد مدى التعب والجهد فى اخراج الشعر، وفى تحمل أمزجة الشعراء ، لاشكر من صميم قلبي الافاضل أصحاب مطبعة المعارف ، والفنان العراقي الموهوب « ضياء العزاوي » ، الذي صمم الغلاف ، والخطاط الفنان « غالب صبري » ، الذي خط عناوين القصائد ، وأشكر معهما كل من رتب حرفا ، وأدار عجلة طبع .. ومن الله حسن التوفيق .

محمد مهدي الجواهري

أرح ركابك ...

ألقاها فى الحفل التكريمي الذي أقامته له وزارة الثقافة والاعلام فى « كازينو صدر القناة » ببغداد على أثر عودته الى العراق من منفاه بعد غياب طال أكثر من سبع سنوات .

وقد ساهم فى الحفل على الصعيدين الرسمي ، والشعبي عدد وفير من الخطباء والشعراء ، وقد استهله السيد وزير الثقافة والاعلام ، الاستاذ عبدالله سلوم السامرائي ، كما ألقى فيه الفريق أول الركن صالح مهدي عماش نائب رئيس الوزراء ووزيرالداخلية قصيدة جارى فيها قصيدة السيد الجواهري ، وكان مطلعها :

أرح ركابك من أين ومن عثر هيهات مالك بعد اليوم من سفر

وكان ذلك فى مساء الجمعة الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٩ .

أرْح ركابَك من أينٍ ومن عثَر
كفاكَ جيلانِ محمولاً على خطر(١)

كفاكَ موحِشُ درب رُحتَ تقطعه
كأنَّ مغبرَّه ليلٌ بلا سحر(٢)

ويا أخا الطير في وردٍ وفي صدر
في كلِّ يومٍ له عشٌ على شجر(٣)

---

(١) الاين : التعب والاعياء ، والعثر والعثار واحد ، والجيل هو فى الاصل الطبقة من الناس تنشأ بعد الاخرى ، ثم اصطلح على تقديره بخمسة وعشرين عاما ، وكأنما اريد بذلك المدة من العمر تتم بها ملامح الطبقة ، ونضوجها . وتهيؤ الطبقة الثانية بعدها للنشوء والتكامل ، والشاعر يريد بالجيلين هنا الخمسين عاما التى سلخها من حياته فى ميادين الشعر والادب ، وفى مجالات الفكر ، وفى غمار السياسة ومجاهل الحياة ومعاناة المجتمع وما تتمخض عنها محلها من أخطار ومتاعب .

(٢) المغبر : الشديد الغبرة ، والغبار فى الاصل التراب ، ومنه الغبراء للارض ثم استعير على سبيل المجاز لما يكدر صفو الحياة تشبيها له بما يكدر الغبار المثار من صفاء الجو ، ومن هذا القبيل اريد به في هذا البيت من مقارنة مراحل الحياة الشاقة بالدروب الموحشة المغبرة، ثم تشبيه هذه الدروب نفسها بالليالي المظلمة البعيدة الغور .

(٣) الورد هو أن ترد مجارى المياه لتشرب منها ، والصدر هو أن تصدر عنها بعد ذلك والشاعر يشبه هنا نفسه بالطير الذى يكثر غشيان مساقط المياه المختلفة ثم يصد عنها ، والذى يألف أعشاشاً جمَّة على أشجار عدة .

عـريانَ يحمـل منقـاراً وأجنحـةً

أخفُّ ما لمَ مـن زادٍ أخـو سـفر(٤)

يحسب نفسِك ما تعيا النفوسُ بـه

من فـرط منطَلقٍ أو فرط منحَـدر(٥)

اناشـدُ أنت حتفـاً صـنعَ منتحـر

أم شابكٌ انت مغتـراً يـدَ القـدر

أم راكبٌ متنَ نكبـاءٍ مطوّحـةٍ

تـرى بديـلاً بهـا عن ناعـم السرُر(٦)

---

(٤) فى هذا البيت يستعير الشاعر شبها آخر بالطير الذي يتخفف فى طيرانه من كل ثقل وكل حمل مكتفيا بمنقاره وجناحيه ، مما كنى عنه بأنه : أخف زاد لمه لنفسه اخو سفر ، والقصد ظاهر وهو خلـو الشاعر مما يثقل المتنعمين والبطرين من حطام الدنيا .

(٥) يحسبك الشيء : كفايتك منه . وتعيـا : تتعب أو تضيق ، والمراد بفرط الانطلاق وفرط الانحدار هنا هو الاشارة لما تتقاذف به الحياة الناس والشاعر واحد منهم بين الجدد والعثار والصعود والهبوط . والنجح والفشل .

(٦) النكباء الريح المنحرفة أو المتراوحة بين ريحين ، الصبا والشمال مثلا ، وهى من نكب الرجل أو الشيء اذا انحرف أو تباعد عن الطريق، والمطوحة من المطاوح هى ما يطيح بالرجل أو بالشـيء من أهـوال ومقاذف وما يتوه به ، وهى هنا بخاصة الريح النكباء .

خفِّض جناحيكَ لا تهزأ بعاصفةٍ
طوى لها النسرُ كشحيه فلم يطر
ألفى له عبرةً في جؤجؤٍ خضبٍ
من غيره ، وجناحٍ منه منكسر(٧)

* * *

يا صورةَ الوطنِ المُهديك معرضُه
أشجَى وأبهجَ ما فيه من الصور(٨)

---

(٧) الجؤجؤ : الصدر ، وجمعه جآجيء ، والقطعة ابتداء من ـ ويا أخا الطير ـ حتى هذا البيت منصبة كلها على تشبيه الشاعر نفسه بالطير فى ورده وفى صدره ، وفى أن له ـ مثله ـ فى كل يوم عشاً على الشجر ، وفى حمله أخف ما يلمه من زاد ، ثم فى مناشدة الشاعر نفسه الطائرة أن يكتفي من حياته ، بما تضيق به حيوات الناس من فرط الانطلاق وفرط الانحدار ثم فى مساءلته نفسه بنفسه عما اذا كان يريد بذلك الموت انتحاراً . أو انه وقد ركبه الغرور يريد أن يصارع الاقدار فيما يتحدى به الرياح العاتية . وأخيرا فهو يطلب اليها أن تخفف من غلوائها كما يخفض الطائر من جناحيه تجاه العواصف الجامحة وان لا تستخف ولا تهزأ بها وقد أطاحت بالنسور أى بما هو أكثر قوة ، وأشد قدرة عليها منه ، وان يكون كذلك النسر الذى ركن الى عشه فلم يطر فى جو عاصف كانت له فيه عبرة منذرة بالجآجيء المخضبة ، من نسورقبله ، وبالاجنحة المتكسرة منها .

(٨) ليس فى هذه القطعة من المفردات ما يحتاج الى توضيح ، وانما فيها صور متلازمة متلاحمة هى بحاجة الى القاء ضوء عليها .
ان الشاعر يرى نفسه فيها صورة أصيلة من وطنه العراق بكل

غيومه وانبلاجَ الشمس والقمر
وقيظَه وانشلاجَ الليل والسحر

ما يخلعه عليها الوطن من مفارقات ومغايرات وتناقضات فى المجتمع ، وفى البيئة ، وفى الوراثة والتاريخ ، تماما كما تنعكس الصورة المرسومة — فى اللوحة الاصيلة — بكل ظلالها وألوانها وأضوائها المتشابكة ، وانه يحمل فى نفسه ما يحمله الوطن نفسه من ذلك . ثم يفصل الشاعر تلك المفارقات من شجي ومبهج ومن مثير ومطمن ، ومن أمعان فى الحر وفى البرد ، في الغيم وفى الصحو ، فى تأصل روح الحقد فيما يثيره الدم القاني المراق على أديم الوطن من صحوة فى هذه الروح ، ومن غفوة عن الحذر منها .

ثم فيما تموت — على أديم الوطن — وتقبر من عبقريات لا تمتد اليها يد العناية والرعاية ، ثم فيما يتوالى عليه بين الآونة والاخرى من تضحيات تذهب هدرا من جراء التفريط بها ، والاستهانة بضحاياها ، ومساومة المساومين المنافقين عليها ، وانتهاز النفعيين والمتربصين لها .

ثم يعود ليقول لنفسه عن نفسه على سبيل التجريد فى المخاطبة .. انه صورة أمينة للوطن العراقى تنصب ملامحها ومعالمها ، على كل الملامح والمعالم التى تحدرت عبر الاجيال والقرون حتى هذا الجيل الراهن ، والتى تمازج فيها الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والثورة والتطامن ، والحب والبغض ، والايثار والانانية والتضحيات وحب السلامة ، وانه — ولمحض انه صورة صادقة للوطن العراقى — فقد أعطى كنزا غريبا فى تناقضات ما يحتويه ، وغرائب ما ينطوي عليه وهو لهذا السبب يجب أن يكون رقيبا على هذا الكنز حتى الممات أو أن يمحصه ، وان يغربله ، وان يحاول جاهدا التخلص عن نقائصه ، وان يطير فرارا منها ان استطاع ، قدر ما انه ملزم ليس بالانطواء على محاسنه حسب بل وبالزيادة فيها ، وهو الى هذا أو

وما يثير الدم الغافي بتربته
من صحوة الحقد ، أو من غفوة الحذر
والعبقريات لم تُنهَض ولم تُثر
والتضحيات توالى عن دمٍ هدر
والناذرين نفوساً كلها ثمر
والناهزين لما يُجنى من الثمر
والزندقات وايمانَ التقاة وما
أجلت مذاهبُه عن زحمة الفكر
يا صورة الوطن انصبَّت معالمُها
على معالمِ ما أبقت يدُ العصر
تلاحَم الضوءُ فى عطرٍ وفى نغمٍ
منها أصيلٍ ، فلم تُنسخ ولم تُعر

ذاك – وعلى أى حال كان فيجب أن يكون فخورا بما خالط عظمه ودمه من خصائص التاريخ العربي ، وبخاصة فما كان منها فى تربة الوطن العراقى ، وشبه هذه الخصائص الصاعدة منها بالغرر – جمع غرة – فى الخيول الاصيلة ، وبالحجول – جمع حجل وهو موضع القيد من رجل الفرس ، وهما البياض يكون فى الجبهة ، وفى الارجل والأيدي من الأفراس أو فى بعضهما دون بعض .

أُعطيتَ أنفس كنزٍ من نقائضها
فكن رقيباً عليها غايةَ العمر
طِرْ ما استطعت مطاراً عن نقائصها
وعن مرافعها الجُلى فزد وطر
وكن فخوراً بما أُعطيت من دمه
على الحجولِ ، وفي الأوضاح والغُرر
فان تحدّاك من عليائه ملَكٌ
يزهو عليك ، فقل انّي من البشر

* * *

يا سامرَ الحي بي شوقٌ يرمِّضني
الى اللِدات ، الى النجوى ، الى السمر(٩)
يا سامر الحي بي داءٌ من الضجر
عاصاه حتى رنينُ الكأسِ والوتر

---

(٩) يرمضني : أى يحرقنى ، وأصله من « الرمض » وهو شدة الحرارة ، ومنه الرمضاء وهي الارض الملتهبة لشدة حرارتها . و « اللدات » جمع « لدة » الخدن والترب .

لا أدّعي سهرَ العشاق يشبعهم

يا سامر الحي بي جوعٌ الى السهر

يا سامر الحي حتى الهمُّ من دأبٍ

عليه آب الى ضربٍ من الخدر

خلافَ ما ابتدعت للخمرِ من صور

وجدتها زادَ عجلان ومنتظر

كأنَّ في الحبب المرتجّ مفترقاً

من الطريق على ساهٍ ومدّكر

يا سامر الحي انَّ الدهرَ ذو عجب

أعيت مذاهبُه الجُلّى على الفكر

كأنّ نُعماءه حبلى بأبؤسه

من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر

تندسُّ في النشوات الحُمسِ عائذةً

هذي فتُدركها الاخرى على الأثر(١٠)

---

(١٠) الحمس : من حمس ومن « الحماسة » وهى القوة والشجاعة ، وتأتي بمعنى شدة الهيجان والفوران والبيت مرتبط بسابقه ومعناهما : أن نعمى الزمان وبؤساه تتوالد فيما بينهما ، وتتواصل حتى لكأن

ينغّص العيشَ انَّ الموت يدركه

فنحن من ذينِ بين الناب والظفر

والعمرُ كالليل نحييه مغالطةً

يُشكى من الطول أو يشكى من القصر

* * *

ويا صحابى وللفصحى حلاوتُها

لا تنكروا ناقلاً تمراً الى هجر(١١)

نعماءه حبلى بأبؤسه ، وحتى لكأن ساعة الصفو تلد ساعة الكدر ، والحقيقة هى أن العكس صحيح أيضا ، ولكن الشاعر مثل بصورة واحدة منهما لانها تطابق الواقع المرير الذى يتحدث عنه .

وكما هو بيِّن فالقطعة حتى البيت :

والعمر كالليل نحييه مغالطة

يشكى من الطول أو يشكى من القصر

انما تصور حدة القلق الذى استحوذ على الشاعر وهو في غربته ، وشدة الشوق الذى كان يعتصر نفسه الى « لداته » واترابه ، ورفاق صباه واخوانه فى سوح الكفاح ، وفى ميادين الحرف والكلمة ، وفى مجالات الفكر والشعر والادب ، وان به شوقا يحرقه الى سمرهم ، والى نجواهم . وجوعا الى السهر واحياء الليالي معهم . ثم انه ليشتد فى هذا التصور الى حد القول : ان الهم والقلق نفسيهما أصبحا ضربا من الخدر لكثرة الاعتياد عليهما . وتكرر الالفة واياهما.

(١١) هجر : بلدة فى اليمن يكثر فيها النخل واسم لبلاد البحرين أيضا . ومنها المثل العربي القديم : كناقل التمر – أو « كمبضع التمر » الى

أنّى ثوى ذو طماحٍ فهو مغترب

في دارة الشمس ، أو في هالة القمر

سبع توهّمتها سبعينَ لا كدراً

لكن لحاجتها القصوى الى الكدر(١٢)

ناشدتكم بعيون الشعرِ لا رمداً

شكت ، ولم تكتحل يوما سوى الحِور(١٣)

هجر ، وفى الشطر الاول من البيت تمهيد جميل للشطر الثاني وذلك بجملة ـ وللفصحى حلاوتها ـ فالشاعر اذ يريد أن يعتذر للمحتفين به وجلهم من جمهرة الادباء والشعراء فيما يتلو عليهم من شعره ، واذ هو يشبه ذلك بناقل التمر الى هجر لا يفوته أن يذكرهم بأن « للفصحى » بدورها حلاوة تبرر هذا التشبيه ٠

(١٢) معنى البيت : ان النفوس الكبيرة ذوات المطامح البعيدة ، والآفاق الواسعة تحمل غربتها معها فى مطاوى نفوسها أينما كانت ، حتى وان كانت مواطن الاغتراب هذه تشبه دارات الشموس فى سعتها ، وامتدادها وهالات الاقمار فى جمالها ولطفها ٠

لهذا البيت صلة مباشرة بالبيت السابق ـ قدر اتصاله بما يتلوه من أبيات ـ فهو يشير الى ان الشاعر كان يتوهم الاعوام السبعة التى قضاها خارج وطنه وكأنها سبعون عاما فى طولها عليه حبا منه فى مشاركته جماهير الشعب آلامهم وآمالهم ، وان ذلك كان منه لا لانه كان يشكو كدرا وانزعاجا ولكن حبا بالكدر والانزعاج ما داما قاسما مشتركا بينه وبين المواطنين ٠

(١٣) فى هذا البيت يناشد الشاعر أصحابه ومستمعيه ويحلفهم بعيون الشعر وهى مختاراته وحسانه تشبيها لها بالعين أعز ما فى جسد

هل عندكم خبرٌ عن قرب ملتحمٍ
أو وشكِ معتركٍ أو قربِ مشتجر
فذاك والله عندي أصدقُ الخبر
انّى أقايض فيه النفعَ بالضرر
كم أرصد الموتَ أدري أنه رصدٌ
ان كان في الموت من فخرٍ لمفتخرِ
سبحان ربِّك ربّ المرءِ يخلقه
صلصالةً وهو من نارٍ ومن شرر(١٤)

الانسان ، وأكثرها نفعا ، ثم انه ليخلع عليها بالفعل أحسن صفات العين وهى صحتها وسلامتها وخلوها من «الرمد» ثم جمالها واتصافها بالحور ، تعبيرا عن لطافة هذه الاشعار · وقوتها وأهميتها ·

وفى البيتين التاليين جواب « التحليف » والمناشدة ، وهما والبيت السابق استمرار لابانة الشاعر عن حبه وولعه لمجالات الكفاح ، وميادين النضال المشترك ، وانه « يقايض » ويبادل النفع وهو السلامة والخلاص بالضرر وهو تحمل المكاره والشدائد ·

و « المشتجر » هو فى الاصل حيث يلتف الشجر ، وتتكاتف الادواح، ثم استعير للمعارك والملاحم حيث تتشابك الرماح كما يتشابك الشجر بعضه مع البعض الآخر ·

(١٤) الصلصالة : من الصلصال ، وهو الطين الحر ، فاذا شوى فهو الفخار فاذا طبخ فهو الخزف · وفى البيت اشارة ، وتعجب ، وتشكيك ، فهو يشير الى خلق الانسان من تراب ، ويتعجب من

أذنبُــه أنّــه لـو قيـدَ محتفظــاً
الى النعيـمِ تخطّــاه الى سـقـرٍ ؟(١٥)

* * *

ويـا مـلاعـب أترابـي بمنعطـفٍ
من الفرات ، الى كـوفانَ فالجــزر(١٦)

أن يكون هناك من الناس من يبدو بحكم عنف مزاجه ، وقوة شكيمته، وثورة دمه وكأنه خلق من نار ومن شرر ويشكك فى أى من هذين الخلقين شاء الخالق هذا النوع من الناس • وفى البيت كذلك تلميح خفي للآية القرآنية على لسان الشيطـان وهو يعـدّ من الملائكة ، مستصغرا شأن « آدم » : خلقتني من نار ، وخلقته من طين •

(١٥) البيت اتمام للسابق وتعقيب عليــه : وهــو تبرئة لتلك النفوس الثائرة التى تبدو وكأنها تفضل النار والجحيم ، على الجنة والنعيـم فيما تحمل به نفسها طوعا وارتغابا على صعاب الامور ، ومخاطـر الحياة •

(١٦) هذه القطعة حتى البيت :

اقتادهن الى حرب على الضجر فيصطلحن على حربي مع الضجر

استعراض وابتعاث لذكريات الشاعر فى طفولته ، وفى صباه وفى يفاعه فى مدارج «النجف» و «الحيرة» ومنعطفات الفرات وجزره وفى رملة « الكوفة » وملاعبها • وتذكر للصور الشاخصة منها والباهتة على حد سواء • ففيها خفق أشرعة السفن الراسية على ضفاف الفرات حيث كانت الأسر النجفية ـ ومنها اسرة الشاعر تنتقل الى « الجسر » وهي المدينة الجميلة الرابضة على شواطىء الفرات • والمسماة بهذا الاسم التاريخي الذى لمع ذكره على أثر المعركة الكبرى الحاسمة بين العرب

فالجسرُ عن جانبيه خفْقُ أشرعةٍ

رفّافةٍ في أعالي الجوّ كالطرر

والفرس وهى معركة القادسية · التي قطع فيها بسبب قطع «الجسر» هذا ـ خط الرجعة على جيوش الفرس المنهزمة وهى بصدد نجاتها الى الجانب الشرقى، جانب المدائن وما يتلوها ، وفيها من الصور أيضاً مساحب الخورنق ومجر ذيوله ، حيث يقوم الآن عليها بامتداد طويل ما يسمى بـ « الشواطىء » · وابن ماء السماء هو النعمان ملك الحيرة وسواد العراق ، وكل الملوك « المناذرة » هم بنو ماء السماء نسبة الى امهم التى أطلق عليها هذا الوصف لفرط جمالها ·

وفيها تعريج على شقائق النعمان التى ما تزال حتى اليوم تنتشر بكثرة فى وديان الحيرة ومساحبها منسوبة الى النعمان نفسه لفرط حبه اياها ولانه ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ جاء الى موضع فى «الحيرة» وقد اعتم نبته من أصفر ، وأحمر وفيه من الشقائق ما راقه فقال : ما أحسن هذه الشقائق احموها وكان أول من حماها ، وفيها أيضا انتشاق لعبير الرملة الدمثاء اللينة على ضوء من القمر وعلى امتداد السهل المرمل الفياح بين النجف ، والكوفة ، والجسر ، والمدارج السمحاء بين السوح وبين الحجر فى أفنية الكوفة ومسجدها ، والسهلة ومسجدها، وحتى مستدق الحصى ورضاضه فى هذه المداحات والساحات ، وحتى مناخة النوق ، على وادي الغري حيث ينيخها جماعات البدو من «نجد» مدة تموّنهم من أسواق النجف وبيوتها · وحيث كان الشاعر وهو صبيٌ بعد شغفٌ أن يصعد أسنمة النوق المنيخة ، وان ينهضها من مناختها ، وان يخاطر باثارتها للنهوض به على غير رغبة منها · والمراد بالذكوات التلال الصغيرة شبهها بالجمرة الملتهبة لضيائها وتوقدها عند شروق الشمس عليها · و «نجف» وهى هنا صفة عن « علم » كل مكان مستطيل وفى بطن واد لا يعلوه الماء أو كل أرض مستديرة مشرفة على ما حولها وكل ذلك ينطبق على أرض النجف

الى « الخورنـقِ » بـاقٍ في مساحبـه
من ابن مـاء السمـا ما جـرّ من ازر
تلـكم (شـقائقـه) لـم تأل ناشـرةً
نوافـج المسـك، فضّتهـا يـد المطـر
بيضاءَ ، حمـراء أسـراباً يمـوج بهـا
ريشُ الطواويس ٠ أو موشيّة الحِبر
لـلآن يُطـرب سـمعي في شـواطئـه
صدحُ الحمـام ، وثغيُ الشـاء والبقر
والرملةُ الدمثُ في ضوءٍ من القمـر
والمدرجُ السمح بين السُوحِ والحُجر
ومستـدقُّ الحصى منهـا وما جمعت
مناخةُ النوقِ من بـدوٍ ومن حضـر
تعالت الذكـواتُ البِيضُ عن نجفٍ
عالٍ ، كما ازدهت الألواح بالاطـر

ومعالمها وواقعها ، واشتفت امتصت والوابل الوسمي الغزير من أوائل مطر الربيع سمي بذلك لانه يسـم الارض وينعشهـا من جديـد ، والطفوف الجانب من الارض ، والشاطىء والمنحدر منها ، وهو أيضا ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق ٠

واشتفَّت الوابلَ الوسميَّ وانحدرت

الى الطفوف بسيلٍ منه منحدر

مستشرِفاتٍ صبا نجدٍ يُبلُّ بها

غليلُ رملٍ بوقد الشمس مستعر

يا أهنأ الساعِ في دنياي أجمعِها

اذا عددتُ الهنيءَ الحلوَ من عمري

تصوَّبي من علٍ حتى اذا انحدرت

بي الحتوفُ لذاك الرمل فانحدري

تُمحى الغضاراتُ في الدنيا سوى شفقٍ

من الطفولة ـ عذبٍ مثلِها ـ غضرِ

وتُستطار طيوفُ الذكريات سوى

طيفٍ من المهد ـ حتى اللحد ـ مدَّكر

في « جنَّة الخلد » طافت بي على الكِبر

رؤيا شبابٍ ، وأحلامٍ من الصِغر(١٧)

---

(١٧) فى هذه الابيات الاربعة من نهاية القطعة تصوير دقيق لمختلف الاحاسيس والمشاعر والذكريات التي كانت تعتمل فى نفس الشاعر وهو فى مغتربه بـ (براغ) وقد سماها « جنة الخلد » والتى كانت

مجنَّحاتٌ أحاسيسٍ وأخيلةٍ

مثلَ الفراشات في حقل الصِبا النضرِ

أصطادهنَّ بزعمي وهي لي شركٌ

يصطادني بالسنا واللطفِ والخفرِ

اقتادهنّ الى حربٍ على الضجرِ

فيصطلحنَ على حربي مع الضجرِ

* * *

وأنتَ يا مارداً يَلقى بهامته

هوجَ الرياح ، ورجلاه لظى سقر(١٨)

تثير فيه وقد بلغ الكبر أطياف ذكريات طفولته ، ورؤى صباه وأحلام شبابه • وان هذه الاحاسيس ، والاخيلة كانت ملونة مجنحة فى حقل الذكريات كما تلون الفراشات المجنحة فى الحقول النضرة •

ثم يستطرد فيقول : انه كان يغالط نفسه عندما يخيل اليه انه هو الذى يصطاد هذه الفراشات ــ هذه الاخيلة والاحاسيس اذ يثيرها ويبتعثها ، بينا هى ــ فى الحقيقة ــ التى تصطاده بما تثير فيه من قلقٍ ، وألمٍ ، وحنين •

وكذلك الامر فيما يتصوره من أنه يجهّز هذه الذكريات ويقتادها الى حربه مع الضجر والوحشة والغربة فاذا بها تصطلح معها ، وتلتئم واياها ، وتنسجم معها فيما تجدده فى نفس الشاعر من غصة ، وفيما تعيد اليه من أصداء الماضي البعيد الحبيب •

(١٨) هذه القطعة حتى البيت :

يا ساحرَ النفس كالشيطان يا وطناً

يُهوى ويُصفى على الويلاتِ والغِير

ويا حفيظاً على الزلاّت يرصدها

وبالذي يتجنّى جدَّ مُغتفَر

ما اِن تزال على ما ذقتُ من غصصٍ

لديك من صُلب حاجاتي ومن وطري

حملتُ همَّك في جنبيَّ أصهره

في لاعجٍ بوقيد الشوق منصهرِ

تبنت الدم من روحي ومن بدني

واستلت الضوء من ليلي ومن قمرى

خطاب الى الوطن · ومناغاة له وقد شبهه بالمارد العملاق الذى يدفع العواصف والزوابع بهامته ، فى حين تستقر رجلاه على لظى سقر كناية عما يتحمله الوطن وما يتصدى له من عوادى الزمن ، وتقلبات الايام وتعاقب المحن · ويقول عنه انه ساحر يجذب النفس ويستهويها ، حتى انها تتسمر عليه ، وتنشد به هوى وحبا حتى وهو يجر عليها الويلات « والغير » والمصائب وانه يحفظ زلات «ابنه» المواطن ويحصيها ، اذ هو مغفور مسامح فى كل ما يتجنى · والابيات التالية حتى نهاية القطعة استمرار لهذه الفكرة · وتوضيح لمدى تعلق الشاعر بوطنه بالرغم من كل ما تحمله فيه من ألم ، وضنك، وتغرب ، وانه يعود اليه الآن وقد قربت مسافة العمر من نهايتها ، وانه يسير فيه على تلك الدروب نفسها التى ما تزال دماء جراحه المنسابة عليها تنيرها وتبين أثرها ·

وكنتَ نوري في ليلى وغربتِه
حتى كأن النجوم الزرقَ لم تُنِر
عَودٌ اليك على بدءٍ وقد قربت
مسافةُ البدء من عود الى الحفر
عودٌ اليك بأقدام موطأةٍ
على دروبٍ جراحي فوقها أثري
تبنّتِ الدمَ من روحي ومن بدني
واستلت الضوءَ من ليلي ومن قمري

* * *

يا دجلةَ الخير ما هانت مطامحنا
كما وهِمنا ، ولم نُصدقكِ في الخبر(١٩)

---

(١٩) فى هذه القطعة موردان ، المورد الاول مناجاة « لدجلة » بعد العودة من الغربة واستعادة لمناجاتها ومناغاتها عندما كان الشاعر فى منفاه وغربته وذلك فى معرض الاشارة الى أبيات عديدة من قصيدة « يا دجلة الخير » الشهيرة .
وفى هذا المورد حتى البيت :
ولا ابتعثت لنا الاطياف عاوية
مثل الذئاب ولم تفزع الى جدر

ها قد أقلنا على سفحيكِ يؤنسنا
لوذ الحمائمِ بين الطين والنهر

تصوير للعودة وكأنها أمر غير متوقع وجلم لن يتحقق . ففي البيت الاول منها اشارة الى قوله فى يا دجلة الخير :

يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا
حتى لأدنى طماح غير مضمون
أتضمنين مقيلا لي سواسيةً
بين الحشائش أو بين الرياحين

وتلخيص الاشارة هو انه كان فى الغربة يتمنى ان يضمن له مطمح هين زهيد هو أن يكون له مقيل على دجلة وان كان بين الحشائش الرفرافة عليها ، أما الآن وبعد العودة فانه ليعتذر عن ذلك بعد ان آوته دجلة من جديد باعتزاز وتكريم .

وفى البيت الثاني اشارة الى قوله من تلك القصيدة :

حييت سفحك ظمآنا الوذ به لوذ الحمائم بين الماء والطين

والابيات التالية من هذا المورد الأول حتى آخره تعبير عن تلاعب الحياة بأبنائها وترامیها بهم وكأنهم «الاكر» المدحوة وسحقهم بين أسنان الرحى الدائرة بالبشائر آنا وبالنذر آنا .

وفى الابيات الثلاثة الاخيرة من هذا المورد اشارة الى قوله فى « يا دجلة الخير » وهو يصور الكوابيس الخانقة فى أطيافه الطائفة به فى المنام من السنة الاولى من تغربه :

لو تعلمين باطيافي ووحشتها ووددت مثلي لو ان النوم يجفوني
أجس يقظان أطرافي اعالجها مما تحرقت من نومي باتون
واستريح الى «كوب» يطمنني ان ليس ما فيه من ماء بغسلين
وألمس الجدر الدكناء تخبرني ان لست فى مهمهٍ بالغيل مسكون

وفى موضع آخر من هذا الديوان ما يوضح هذا المورد من

وعانقتنا حسانُ « النخل » واصطفقت

جدائلُ السعف المُزهـاة لا الشـعـر

قصيدة يا دجلة الخير فى خلال شرحها ٠

ـ اما المورد الثاني من هذه القطعة فهو تنديد بالزمر التى تعاقبت على السلطة وعلى الحكم ابتداء من أوائل عام ١٩٦١ حتى أواسط عام ١٩٦٨ أي أكثر من سبعة أعوام وهي السنون التي قضي على السيد الجواهري أن يحياها بعيداً عن وطنه بالرغم من تبدل أحوال ، ومن تجدد رؤساء وزارات ، ورؤساء جمهوريات ، وتلويح بان الكف التى عصرته عصرت آخرين معه ، ولكن مدت اليها كف أقوى منها فعصرتها ولوت معصميها ، ثم أعادته وآخرين معه الى أوطانهم ٠ ويريد بذلك ثورة ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ والتى قام بها حزب البعث وتسلم اثر نجاحه فيها الحكم ٠

وفى هذا المورد يقول الشاعر ، ان هؤلاء المسلطين بالقوة على الشعب العراقي كانوا قد قذفوا به وبرهط كبير معه من أحرار العراق قذف الحصاة ، وان تلك الطغمة كانت وهى تحكم وتتصرف كما تشاء وبما يأباه الشعب العراقي انما تستمد القوة فى مد طغيانها من « جزر » قوة الجماهير ، وهى لهـذا السبب نفسـه تنحسر وتزول ـ وقد زالت فعلا ـ عندما ازدادت قوة الجماهير وتنامى وعيها وأشتد « مـدها » ٠

وفى الابيات التالية من هـذا المـورد تعريض بمصـائر هؤلاء الحاكمين السادرين : وتشردهم هم الآخرين ، بارادة من الشعب العراقي ، ثم تذكير لهم بخورهم وتهافتهم وهم يواجهون مصائرهم ، وبصلابة الشاعر وصموده وشموخه وهو يواجه الاعوام السبعة من غربته وتشرده ٠

ويخرج من ذلك الى أن « مصائبهم ليست بكفو لأفراحه » أي أن البون الشاسع بين مصيرهم السيء الذى أحاق بهم لا يعادل فرحته هو وأفراح الشعب العراقي بعودته فهو لذلك فى موكب نصر رائع ، ومثل هذا الموكب يأبى أن يقترن بالشماتة لانه أجل منها ٠

وأثلج النفسَ من ولهانَ مستعرِ
وجداً، سقيطَ الندى من ريقكِ الخَصِرِ
يا دجلة الخير ـ والأيّامُ تسحقنا
بين البشائرِ نرجوهنّ والنُذرِ
نخادع النفسَ بينا نحن في يدها
وبين أرجلها مدحوّةُ الأُكرِ
تُمازج الخيرَ في شرٍ مموّهةً
ما كان منتظَراً في غير منتظَرِ
كان الذي لم نخله كائنا أبداً
حتى كأنّ مصيراً حُمّ لم يصرِ
حتى كأنّا مع الأطيار لم نطِرِ
الى رباكِ ، وطيفاً منك لم يَسِرِ
ولا حلمنا بنارٍ منك تُحرقنا
في شاهقٍ بنديف الثلج معتمِرِ
ولا ابتعثتِ لنا الأطياف عاويةً
مثلَ الذئابِ ، ولم نفزع الى جُدُرِ

يا « دجلة الخير » انّ الغمّةَ اندثرت
جنباً الى جنب عهدٍ فات مندثر
يا «دجلة الخير» أنّا بعضُ من عصرت
كفٌّ لوى معصميها أيّ معتصر
قذفَ الحصاة رمتنا عنكِ جائحةٌ
نقيضُ جريكِ في مدٍّ وفي جزَر
تُلوى وتُحسر اذ تطغَين مدّتُها
وتستقيم بموجٍ منك منحسِر
عفنا لها ناطحاتِ الجوِّ فارعةً
ونازعتنا على ضَحيانَ مؤتجَر
أغرت بي السبعةَ الأعوامَ تحسبها
هوجَ العواصف تُستعدى على الشجر
لم تدر أنّ جذورى غيرُ خائسةٍ
كالجذر منها ، ولا عُودي بذي خَور
وشرّدتني كأن لم يجر منقلَبٌ
بالناس والفلكَ الدوّارَ لم يَدُر

ليست بكفوٍ لافراحي مصائبُهم
يأبى الشماتةَ كفواً موكبُ الظفر
يا جازعينَ بأن غامت سماؤهم
وما يزالون في فَينانَ مزدهِر
رأيتموا كيف هان الصبرُ عندكم
وكيف كان على اللأْواء مصطَبري
وكيف زُرَّت على الايمان مَدرعتى
وكيف تاه على ديباجكم وبرى
يا « دجلةَ الخير » نحنُ الممتلين غنى
بنا انعطافٌ على ملآن مفتقِر
واللهِ لو أُوهبُ الدنيا بأجمعها
ما بعتُ عزّي بذلِّ المترَفِ البطِر
قالوا يظنّون بي شيئاً من الصِغر
فقلت فيهم وبي شىءٌ من الصَعَر
رثيت للعقرب اللدغى جبلّتُها
لفرط ما حُمِّلت سُمّاً على الأبر

لـــولا مغبّــة مــا تجنـــى ذنابتهـــا

لقلت : رفقـــاً بهـــذا الزاحفِ القـــذر

* * *

ويا سقاةَ الندى مـــن كـــل منسجمٍ

والأَريحيـــاتِ ، معسولِ النثا عطـــرِ (٢٠)

يـــا صفـــوةَ البلـــدِ الزاهي بصفوتـــه

ويـــا أســاريـــرَ وعـــيٍ فيـــه منتشـــرِ

ضممتـــم المجـــدَ من أطرافـــه زُمـــراً

تضفي عليَّ سـناهـــا صفوةُ الزمـــر

(٢٠) فى هذه القطعة حتى البيت الاخير منها :

وقد يضيق بشكر المفضلين فم حتى يغطي عليه عذر معتـــذر

تنويه بفضل المقيمين حفل التكريم هذا ، والمساهمين فيه ، وبلطف الآدباء والكتاب والشعراء الذين شاركوا فيه كل منهم بدوره • وبما سمحت به عواطفه الكريمة •

وفيه ، وهو يشبه الكلمات الخيرة والحروف النيرة من الكلمات والقصائد بالخمر المعتقة تدور بها الكؤوس الشفافة ، اعتذار عن عدم بلوغه ـ الشاعر ـ شأوهم ، وعن عجز الكأس التى يدير بها حروفه من أن تلحق بكؤوسهم المترعة ، المزدخرة ، أو أن يتساوى ما بها من وشل وما فى كؤوسهم من ملاء ، وغنى حتى الحافات •

من كلِّ لونٍ كريمٍ مشرق خضلِ
كما تُلون حسناً باقةُ الزهرِ
معتّقين سلافَ الحرف ناضجةً
نُضجَ ابنة الكَرْمِ فيه ابنةُ الغررِ
عذراً لأكؤسكم كأسى بها وشلٌ
خجلانُ من مُترع الحافات مزدخرِ
ما كنتُ بالعيِّ لجلاجاً بمجتمعٍ
ولا بهيّابةٍ في منطق حصِرِ
ولم يدع لي كرُّ الدهر من وطرٍ
ولا المحاذيرُ قد مارستُ من حذرِ
لكن وجدتُ جميلَ الصنع مبتكَراً
ما إن يُوفَّى بقولٍ غير مبتكرِ
وقد يضيق بشكر المفضلينَ فمٌ
حتى يُغطي عليه عذرُ معتذرِ

* * *

ويا قوى الخيرِ كوني خيرَ صاريةٍ
يُوقى الغريقُ بها دوامةَ الخطر(٢١)

نجوى خليصٍ هوىً ما انفك بينكم
خمسين عاماً مَلاء السمع والبصر

لم يمشِ يوماً الى تجرٍ بمعترك
ولا تدرّب في حانوت متّجِر

لكن بصدر لنزف الجُرح محتملٍ
وصُلب متنٍ لحمل الغرم مدّخَر

---

(٢) فى هذه القطعة الاخيرة من القصيدة حتى بيت الختام :

وبالضحايا تلوب الحشرجات بها   أن يغتدى دمها خمراً لمعتصر

اثارة لقوى الخير وطلائع النضال فى العراق أن تلم صفوفها ، وترصها وأن تكون بمثابة الصواري التى تحفظ للسفن توازنها ، وتقي من دوامة الخطر ومن الغرق فيها • وإهابة بها أن تعمل على تلاحم قواها • ليكون منها منطلق لاستئصال قوى الشر ، والتدمير ، ولطمر البؤر السوداء ، وأوكار التجمعات الرجعية وزوايا الخيانة والعمالة •

وانها ـ قوى الخير هذه ـ لها من تجاربها فى « النضال » وخِبرها وعبرها فى شتى سوح المقارعة والمعاناة والالتحام ما يؤهلها بجدارة وثقة أيضا أن تكون الظافرة المنتصرة •

ويختتم ذلك بتذكير هذه القوى الخيرة : انه من دواعي الاسف والالم ان يميل بهم الاختلاف على الصور والاساليب عن تناسي روعة المحتوى والمضمون فيما يتعلق بالعمل السياسي •

ويحذرهم أن تذهب كل دماء الضحايا الفوارة طيلة سنين وسنين هدرا ، أو ان يغتدى دمها خمرا لمعتصر أي أن يكون سوقاً للتساوم والتعامل •

عقدٌ من التضحيات الغر منتظَمٍ
جُرم المفرِّط فيه غيرُ مغتفَر
لمّي صفوفَك يشمخْ في تلاحمها
مجدٌ يضاف الى أمجادك الأُخَر
واستأصلي البؤرَ السوداء، واقتلعي
منها الجذورَ، ولا تُبقي ولا تذري
أخزى وأقذر من مستعمر عُصبٌ
راحت غطاء على مستعمرٍ قذر
تكاد تعطيه من أضلاعها نفسا
به تمدّد من أنفاس محتضَر
وشبهُ منتهزٍ أيتامُ نعمته
ومثل مؤتمرٍ أفراخ مؤتمِر
ويا براعم مجدٍ في كمائمها
مُدّي جباهَك نحو النور وازدهري
تعاطفي كخيوطِ الفجر وانبلجي
في جنح ليلٍ بعيد الغور معتكِر

انَّ الدياجرَ لا تُجلى غياهبُها
إلاّ اذا التم شملُ الأنجم الزهر
ويا جموعاً يهابُ الموتُ زحفتها
سُدّي الطريقَ على الردّات واختصري
أنتم ركائز حقٍ بعدما ذهبت
درجَ الرياح أطانيبٌ من الشعَر
ونخبةُ القوم يَستهدي بأوجُهها
شعبٌ تخبط فى عمروٍ وفى عُمر
تشاجري والبلايا السودَ تنتصري
فقد تعاطيت منها كلَّ مُشتجَر
وقد تمرَّستِ حتى كلُّ نازلةٍ
لها واياكِ ميعادٌ على قدَر
كفرٌ بسفر نضالٍ أن يميل به
عن روعة المحتوى خلفٌ على الصور
وبالضحايا تلوب الحشرجاتُ بها
أن يغتدى دمُها خمراً لمعتصر

الفداء .. والدم

القيت فى الحفل الذي أقامته المنظمات الفدائية ببغداد احياء لذكرى الشهيد العربي الفدائي « صبحي ياسين » فى « قاعة الشعب » . وذلك فى خريف عام ١٩٦٨ . وقد نشرت القصيدة لاول مرة فى جريدة « النور » البغدادية ونقلتها عنها صحف ومجلات عربية عدة .

جلَّ الفداءُ وجلَّ الخُلدُ صاحبه

ضاق الفضاءُ وما ضاقت مذاهبه

لونٌ من الخَلقِ والابداع يُحسنه

خلقٌ تصاغ جديداتٌ رغائبه

وذروةٌ من سماحٍ لا كَفاءَ لها

الا مَطامحُ من عزَّت مَطالبه(١)

في الفَدي من جبروتِ الليلِ رهبتُه

وعنده من ضحاياه كواكبه

يتلوه رأدُ الضحى شِفعاً وتقدُمه

من روعةِ الفجر زحّافاً مَواكبه(٢)

جلَّ الفداء وان ضجَّت مآتمه

على الشهيد وان رنت نوادبه

---

(١) لا كفاء لها : لا نظير لها .

(٢) رأد الضحى : ارتفاعه واشتداده ، ويتلوه رأد الضحى شفعا ، أى يجى بعده ملازمة كما يجىء الشفع بعد الوتر ، أى الثاني بعد الاول .

إنَّ الزمازمَ في الدنيـا لمِصرعـه

صـدى الـزمـازمِ ضبّتهـا كتـائبـه(٣)

جلَّ الفـداء فمـا ينفـك مَـأرُبـةً

لـكلِّ مستبسـلٍ أعيت مـا آربـه

وبـورك الدربُ مسحوراً يتيـه بـه

نكسٌ ، ويحتضن الصنديدَ لاحبـه(٤)

درب الخلودِ بلَيلاتٌ لوافحُـه

عَلى الفُداةِ وجنّاتٌ سباسبـه(٥)

حوى النضالَ فسيحاً ما به غلَقٌ

ولا بمـائعـةٍ رخـواً رحـائبـه

---

(٣) الزمازم جمع زمزمة وهى صوت الرعد فى أقوى ما يكون عليه ، وهو أيضا صوت الأسد ، ومعنى البيت أن ضجيج الحزن والتأثر لمصارع الشهداء من الفدائيين ، انما هوصدى ورجع" وشبيه بالضجيج الذى تحدثها كتائب جيوشهم وهى تنصب على أعدائهم .

(٤) النكس وجمعه أنكاس هو اللئيم المقصر عن ادراك غاية النبل والكرم ، والصنديد الشجاع المقدام ، واللاحب الواسع الرحب من الدروب ،

(٥) السباسب ومفردها سبسب ، المفازات البعيدة الشاسعة الواسعة .

على حَفافيه من شعبٍ مصائره
وبين جنبيه من أمرٍ عواقبه(٦)
من عهد آدم والدنيا تلوذ به
تُعلى مرافهها الجلَّى متاعبه(٧)
يمشي الكميُّ على اثر الكميِّ به
للخلد سِيانَ ناجيه وعاطبه
ويستجدُّ البناةُ الصيدُ تُلهمهم
غرائبَ الفكر خلاقاً غرائبه
مدى الأبيد وأبدان تنادمه
نضحَ الدماء ، وأذهان تساكبه(٨)

---

(٦) حفاف الشيء وحفاف الطريق وحفاف الشعر جانبه وما يحفّ به من حواليه وجمعه « أحفّه » وفى القرآن الكريم « حافّين من حول العرش » أى محدقين به .

(٧) المرافه أطايب العيش ، والرفه ـ بفتح الفاء ـ هو لين العيش وطيبه ورغده ، ومعنى البيت ان هذا الدرب ـ درب الخلود ـ ما انفك من عهد آدم وسيظل حتى الأبد ملاذاً للحياة وللبشرية كلها ، بما تتيح لهما متاعب النضال والكفاح للسائرين عليه من طلائع الثوار والاحرار من غد مشرق ومن حياة فضلى وحرةٍ ، ورغيدة .

(٨) نضح الدماء هو ما ينضح منها وما يسكب ، ومعنى البيت والبيتين

ينيره بشعاع الفكر مسرجه

ويهتدي بسراج منه خاضبه

وما يزال الغدُ المنشودُ في يده

يُقاس بالحاضر المشهودِ غائبه

* * *

غادى ثراكَ بنَ « ياسين » وراوحه

من الغمام مُلثٌّ القَطر صائبه(٩)

التاليين له هو : ان درب الخلود والخالدين يتنازعه ويتقاسمه أبداً وعلى مر الدهور الخالدون من طلائع الفكر البشري ، ورواد الثورة والانطلاق من أحرار العالم ومفكريه ، والخالدون من شهداء ملاحم البطولات ، ومضامير الجهاد والنضال المتعاقبون موجةً بعد موجة على سوح الشرف والكرامة والحرية .

وان شعاع الفكر الخلاق والثائر ينير هذا الدرب بادىء ذى بدء ويتلوه على أثره وبهديٍ منه الابطال الشهداء الخالدون ممن يخضبونه بدمائهم .

(٩) غاداه وراوحه : أى لازمه جيئة وذهابا، وهومن الغدو والرواح، و«ملثٌ» القطر أكثره الحاحا واستمراراً ومصدره « اللثّ » و « الالثاث » . « وصائب » المطر هو ما يروى الارض بكثرة ما يصيب منها ، ويقع عليها .

صنعُ السماء وعند الأرض صَنعتُهـا

دمُ الشبـاب مُلثّـات ٌ سحائبـه(١٠)

يَسقي ضريحَك لا ينفـكُّ دائبُـه

عـن الضجيج ، ولا يصطكُّ ذائبـه

سبحانَ من بدَّل الدنيـا وساكنَهـا

لقـد مشـت خبيـاً فينـا عجـائبـه(١١)

كان الكريمُ يوفِّى النـذر منتحيـاً

قبرَ الـكريـم عقـيرات ٍ نجائبـه(١٢)

تصـاعـدت همـمٌ للفـدي واستبقت

مـراتـبَ النفـر الفـادي مـراتبـه

---

(١٠) معنى البيت : ان هناك ـ سحابا ثانيا هو من صنع الارض، غير السحاب الذي تصنعـه السمـاء وهو مـا « تلثه » وتريقـه على درب الشهيد « ابن ياسين » ، وعلى قبره صدور الشباب الفادى بمـا تفجره من دمائها الزكيَّة .

(١١) الخبب هو سرعة العدو والركض .

(١٢) العقيرات من النجائب ـ وهن النوق الجيدة النجيبة ـ ما يعقر منها والعقر هو أن تضرب الناقة أو البعير على قوائمهما قبيل ذبحهمـا . وانتحى الشىء أخذ ناحيته وقصده قصداً .

وفّى لأمّته نذراً مفجّرةً
نحورُه ، وخضيباتٍ ترائبه(١٣)

* * *

ويا صحابةَ « صبحي » جهّزوا زُمراً
منكم إلى الملأ الأعلى تصاحبه
غنّ الفراديسِ مَلقى كلّ ذي شرفٍ
طهرُ الملائكِ أرْحامٌ تناسبه(١٤)
غرُّ الجباهِ على الغبراء تُسرجها
مَرْجُ المروءاتِ ضوّته حُباحبه(١٥)

---

(١٣) الترائب ومفردها « تريبة » هى اضلاع فى الجانب الأيمن من الصدر وفى الجانب الايسر منه . ومعنى القطعة من القصيدة ابتداء من « غادى ثراك .. » حتى « وفى لامته نذرا .. » هو الاشارة الى تصاعد الاجيال وتصاعد مفاهيمها فى البذل والتضحية والمفاداة ، والمقارنة بين ما كان عليه العرب فى جاهليتهم فى اكرامهم ذكرى أبطالهم ومصارعهم من عقرهم النوق النجيبة على قبورهم ، وبين ما هم عليه اليوم فى مثل ذلك من تفجيرهم نحورهم وصدورهم جرياً على سنة « الفداء » وأخذاً بعنان البطولات .

(١٤) غنّ الفراديس ومفردها «غناء» مزهرها ، والملتفة أشجاره وأغصانه منها .

(١٥) الحُباحب بضم الحاء الاولى ومفردها « حبحاب » هى ذباب على

تسربلوا رملةَ الوادي يحنّطهم
نسيمُه ، وتُواريهم مساحبه
وأسلموا حشرجاتٍ جدَّ هانئةٍ
ان الذي وهبوه الجرحَ عاصبه(١٦)
ذابوا على شفةٍ منه مَصارعُهم
فيه بحيث أظلّتهم ملاعبه(١٧)

هيئة الفراشات يشع في الليل ويضيء الحقول والمروج ، ومعنى البيت : ان جباه الشهداء الغرّ تضيء سوح الفداء ومروج المروءات كما تضيء الحباحب الحقول والمروج .

(١٦) عصب الجرح ضمّده وهو من العصابة كانوا يلفون بها جراح الفرسان ، ومعنى البيت : ان هؤلاء الفداة كانوا يسلمون حشرجات الموت وهم هانئون لمجرد أنّ من ماتوا لاجله ووهبوه جراحهم وهو وطنهم السليب قد ضمد جراحهم بما أهبُ عليها من نسائمه ، وبما لفّها من ترابه ورماله .

(١٧) فى هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له تصوير للحظات الاخيرة لصرعى الفداء وللاطياف التى كانت تطوف فى نفوسهم ، وأنّ حلما غافياً كان يمسهم ، وأن طيوفا عابرة لمرابع فلسطين وأرياضها كانت تعانقهم وأنهم كانوا يخلطون بين ملامح الغزلان والظباء السانحة فى تلك المرابع وبين ملامح الفتيات العذارى الكواعب فيها .

وان واحات الزيتون المَخيلة كانت وكأنها بلطفها تنفض عن جفونهم المثقلة رعب الموت وفظاعته .

ومسّهم حلمٌ غافٍ وعانقهم
طيفٌ بآرامه تُحكى كواعبه
ونفّض الرعبَ عن أجفان محتضرٍ
ظلٌّ لواحة زيتونٍ يداعبه
ولمحُ « بيّارةٍ » لم يدن رائعُه
حتّى انثنى كرفيف الموتِ شاحبه
يا روعةَ البحر قد جاشت غواربه
من بعدِ ما لانَ وانداحت جوانبه(١٨)

* * *

تفجّرت جنباتُ الليل عن نغمٍ
حُلوٍ كرجعِ صدى الأحلام ثائبه(١٩)

وأنّ لمح « بيارات » الليمون والبرتقال كانت ترف عليهم رفيف الموت نفسه ، حتى لا يدنو رائعها الا ريثما يرتد طيفه وهو شاحب متضائل .

(١٨) غوارب البحر ومفردها « غارب » أعالي موجه وأثباجه ، وانداح استرسل ، والكناية هنا عن روعة البطولات وتصاعدها بعد أن ابتدأت مسترسلة هيّنة .

(١٩) القطعة « حتى البيت : كانت حلول وها أنتم ... » تعبير عن قوة المد الفدائي ، وروعة انتشاره فى أرجاء الارض

ناغى « بفتحٍ » و «تحريرٍ» و «عاصفةٍ»

كما تُناغي أخا وجدٍ حبائبه

وخِلتني مرهِفاً سمعاً لأُنجيةٍ

في المشرقين مُرنّاتٍ تجاوبه

مرحى شباب فلسطينٍ به مرحٌ

مع الردى فهو ساقيه وشاربه

مرحى لمستبقين الدهر أزعجهم

مَطالُه وأمَلَّتهم ركائبه

وتفجّر الوعي العالمي على زخم الفداء والبطولات ، ثم ينعطف الشاعر من ذاك الى مناغاة شعاب فلسطين ، وطلائع الفجر الزاحف منهم . والذى ينعته بأنه مَرِح في معاطاة الموت فهو يسقيه اعداءه وغاصبي وطنه قدر ما يشرب منه . كما يساقى الشرب بعضهم بعضا ، وانهم الجئوا الى ذلك بسبب من التسويفات والمماطلات السياسية ، وبعد ان أتعبت ظنونهم واستنفذت صبرهم الشهور والاعوام ، وانهم اعتلوا صهوات اليأس ومتون الخطر بعد أن امالت بهم عن أمل مكذوب لا رجاء فيه كالناقة المأيوس منها التى اقتطع سنامها ـ وهو ذروة الظهر منها ـ واجتث غاربها ، وهو الكاهل او ما بين الظهر والعنق ، ثم يوضح ذلك بقوله : ان هذا الشباب الفلسطيني كان فرائس حلول سلميّة مزعومة وكان ضرائب حلم وصبر مدعيين .

يلوي ظنونَهم شهرٌ وقابلُه
ويمتري صبرَهم عامٌ وعاقبه
مسمَّرين على وعدٍ بلا كنفٍ
من ضامنيه ، ولا حولٍ يُصاقبه
مالت بهم صهوات اليأس عن أملٍ
جُبَّ السَنامُ به واجتُثَّ غاربه
كانت حلولٌ وها أنتم فرائسها
وكان « حلمٌ » وها أنتم ضرائبه
ويا شباباً كطهر الفجرِ سيرتُه
وكالسحاب نقياتٌ نقائبه
ممن تبنّاه « غسانٌ » وسامرُه
وذو النعيمينِ « نُعمان » وحاجبه(٢٠)

---

(٢٠) .. الغساسنة ملوك بر الشام على عهد الرومان ، و « النعامنة » ملوك الحيرة وسواد العراق على عهد الفرس ، وذو «النعيمين » اشارة الى النعمان ملك الحيرة الذى كان له يومان يوم بؤس وفيه يهلك من يقع بين يديه ويوم نعيمٍ وفيه يفيض عطاء ورفعة وسماحا ، في حادثة مروية كانت سبباً لذلك .

لا تخذلوا «فتحَ» عن ضيقٍ وعن سعةٍ
فيما يراضيه أو فيما يغاضبه
ولا يَطِرْ بكمُ وهمٌ فثمَّ غدٌ
يُحصي الحسابَ وتأريخٌ يحاسبه
ولا يزحزحكم خلفٌ ولا جنفٌ
عن موقفٍ أعين الدنيا تراقبه
فليس بين طواعينٍ وأوبئةٍ
مثلُ الشقاقِ اذا دبّت عقاربه

* * *

ويا فتى الحيِّ مازجْ تربَه بدمٍ
كما يمازج صرفَ الراح قاطبه(٢١)

والقطعة حتى البيت : « فليس بين طوعين » .. استمرار للقطعة السابقة واستنهاض للشباب العربي ان يشدوا ازر منظمات الفداء وفي الطليعة منها « فتح » و « عاصفة » وان يستفيقوا تماما من احلام الحلول ومن اطياف الوعود .

(٢١) قاطبه : اى مازجه من القطوب وهو ان تكسر شوكة الخمرة بالماء . والقطعة حتى البيت :

وحان للوطن اجتيحت سلامته
أن يصفع السلم رعديداً محاربه

ولا تثق بوعودٍ ما استُجيش بهـا

جيشٌ لقومٍ ولا نصرٌ يواكبه

اشادة بشجاعة « الفدائي العربي » ، وطلب اليه ان يمضى قدما في مفاداته وتضحياته . وأن لا يثق بكل المماطلات والتسويفات السياسية التي تطيل في أمد الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وتميت في نفوس الجماهير جمرات الغضب ، والثورة والحقد على الغاصبين، ولا بكل الحلول السلميّة ، المزعومة التى لا يكسب بها نصر ولا تستجاش بها الجيوش ، والشاعر يصف هذه الدعاوات بالصخب الذى تثيره اللقالق وهي تطقطق الحصى .

ثم انه ليتساءل عما اذا كان هناك فى التاريخ « حوار » سياسي أعاد للمغصوب ما غصب منه ، وللمقهور ما سلب من أرضه وكرامته ، وعما اذا كان حوار مزعوم كهذا يختلف عن غشيانك ذئباً ممعوطاً لتعاتبه بالحسنى ، املا بأن تكفى مذأبته وضراوته ، وعما اذا كان ذلك يختلف أيضا عن محاولتك أن تزحزح الوحش جاثما على فريسته بأن تتزلف اليه بما تمسح من مخالبه .

ثم انه ليتساءل عما اذا كان سواء من أنجز وعده فعلا ، ومن وعد بانجازه زعما ، أو من غسل عارا لحقه وأهله بدمه ، وآخر يكتفى عن ذلك بشجبه العار ، والتنديد به ، والشاعر يخرج من كل ذلك الى نتيجة واحدة منطقية هو أن ليس أمام الوطن العربي والشعب العربي الا ان يستثمر قضيته العادلة ، بأن يشدد من غضبته الحانقة، ومن حقه الصارخ بالدم وبالفداء حتى يخر الغاصب السالب على الاعتاب .

والا ان يهزأ الفدائي العربي بالسلم الجبان وعقباه الاستسلام ليس الا ، وبذاك وهذا وحدهما تضمن كرامة الوطن العربي الذى احتيجت سلامته وكرامته .

ولا بسرب دعاواتٍ يُخال بها
سربُ اللقالقِ مُزجاةً صواخبه
ملَّت من النغم الواهي مثالثه
وعافت الوتر الجافي مضاربه
وهان خطبٌ لو اختصَّت صوادحُه
بما تغنّى ، ولم تنعب نواعبه
فمُدّعىً شاءه جهلا صوادقُه
غير الذي شاءه علماً كواذبه
أبالحوارِ يردُّ الغُنمَ غانمه
أو يُرجع البلدَ المغصوب غاصبه
أم أنت تطمع أن يكفيك مذأبةً
غشيانُك الذئبَ بالحسنى تُعاتبه
أو أن يُزحزحَ وحشٌ عن فريسته
بأن تمسَّح بالزلفى مخالبه
أم يستوي منجزٌ وعداً وزاعمُه
وغاسلٌ بدمٍ عاراً وشاجبه

قد آن للحق أن تشتدَّ غضبته

حتى يخرَّ على الأعتاب سالبه

وحان للوطن اجتيحت سلامتُه

أن يصفع السَلَم رعديداً مُحاربه

* * *

ويا بن امِّ الدواهي أيُّ منتسبٍ

اذا نمت ماجداً حراً مَناسبه(٢٢)

---

(٢٢) ابن ام الدواهي ، كناية عن « الفدائي » المخاطر بنفسه فى الحروب والواهب اياها للموت وهذه الأمومة ، وهذه البنوة يستخرج منهما الشاعر أزكى نسب يفخر به الفدائي على كل حرٍ ماجد ٠

والقطعة حتى البيت : « يحيا مع الموت ٠٠ » استثارة للبطولات وتهوين للموت فى سبيل المثل الاعلى ، وتصوير للمآسي والنكسات التى لفت العوالم العربية حتى لكأنّ الشرق العربي عاد مغرباً للشمس ، وحتى كأن لم يبق فيه من سناً للاصباح الا الجباه المعفرة للفداة الشهداء ، ومن مطلع للشمس الا دروب التضحية والمفاداة ، وحتى لم يبق الا وضح الدماء ما يجلى به غياهب الظلام ٠

وفى القطعة نفسها اثارة للجبناء ، وللمترددين ودعوة الى اقتحام الردى وأن لا يراعوا بسيمائه ، وقطوبها ٠ فما ذلك الا لانها تعبير عن غيظ الموت وحنقه على كل طالب حق ويجانبه ٠

وأخيرا فان الشجاع المستميت يذوق الموت مرة واحدة ، اما القعدد الجبان فانه يعيشه طول الدهر ٠

دع مشرقَ الشمسِ للدنيا يُغازلها
فقد دجَتْ عربيّاتٍ مَغاربه
سنى الصباحِ جبينٌ أنت عافرُه
ومطلعِ الشمسِ دربٌ أنت راكبه
لم يبقَ الا الدمُ الوهّاجُ تنضحه
على ظلامك كي تُجلى غياهبه
أقول للقعدد المهزول أضمره
هوانُه وهوى للذلِّ جانبه :
ذقْ من «خُوانِ» الردى تُسمنك عزّتُه
واقحمه تَعصمكَ من ذلٍ أطايبه
ولا تروَّع بسيماه فانَّ به
غيظاً على ناشدٍ حقّاً يُجانبه
يُغري الشجاعَ باصحارٍ تيقّنُه
أنَّ الجبانَ خبيئاتٍ مَعاطبه
يحيا مع الموت عند الموت مرتغبٌ
فيه ، ويحياه طولَ الدهرِ راهبه

* * *

أقسمتُ بالدم عملاقاً فلا زَيغٌ
في مشيتيه ولا عوجٌ مَناكبه(٢٣)
تحمّل الوزرَ ألوى عنه وازره
وعافه خدنُه ، وانسلّ صاحبه
لخيرُ يوميك يومٌ تستردُّ به
من كفِّ أمسكَ مجداً فات ذاهبه
يومٌ دحضت به عاراً ، وصنت به
غداً ، وأدركت ثأراً عزّ طالبه
سل الطواغيتَ هل من غالبٍ أشرٍ
إلاّ وهذا الدمُ المغلوبُ غالبه
يزعزع الثقةَ العمياء ساربُه
كما يُزعزع جذرَ الدوح ضاربه

---

(٢٣) معنى البيتين فى أول القطعة حلفٌ بالدم العملاق المستقيم الجرى والاندفاع ، ووصف له فى معرض الاشارة الى واهبه ـ بانه فدية عن قصور الآخرين وتقصيرهم ، وانه يتحمل الوزر عن وازره ومسببه وعمن تنصل منه ، وعمن انسلّ عنه ، وجواب القسم هو البيت :
« **لخير يوميك ٠ ٠** » وباقي القطعة تأكيد لأولها

وما المُفاداة سرٌ انها خطرٌ

هانت على يد مقدامٍ مَصاعبه

انَّ المشيَّع مدّته عزائمه

مثل المحنَّك أغنته تجاربه

يا صادق الفجر زعزع أعيناً غفيت

فقد تقرحن ممّا طال كاذبه

وأنتِ يا جمرةَ الحرف التي نضجت

أمُّ الكتاب بما توحي وكاتبه

كوني لي العونَ في خطبٍ أكابده

ونجدةَ الغوث في خَلقٍ أخاطبه

فقد تكتَّمتُ حتى لجَّ منفجراً

بي الضميرُ وحتى ضجَّ صاخبه

خمسون عاشت فلسطيناً ومحنتَها

كما يعيش قتادَ الشوكِ حاطبه

نُضوى على قدر ما نغشى مآدبها

انَّ اللئيمةَ تُضوي من تؤادبه

من وعد بلفور « زقوماً » نُطاعمه

حتّى حزيرانَ « غسلياً » نُشاربه

* * *

وتائهينَ تُهين الشمسُ عَريتَهم

ويُحسد الليلُ اذ تُرخى ذوائبه(٢٤)

صرعى الخيامِ ملايينٌ ممزّقةٌ

كنسجهنَّ الذي راحت تجاذبه

تُجبى لها الصدقاتُ المرُّ مطعمُها

مرأى ومسمعَ من راقت مشاربه

---

(٢٤) القطعة هذه وما بعدها حتى البيت : «لسوف يحقب..» من الوضوح بحيث تغنى عن التطويل فى شرحها ، وهى بخلاصتها وجوهرها استعراض لنصف القرن الذى عاشته بمرارة وانغلاب فلسطين المغتصبة بخاصة ، والامة العربية عامة ابتداء من وعد بلفور عام ١٩١٧ حتى عام النكسة الكبرى ١٩٦٧ .

ثم استعراض للحياة المزرية المهينة التى يحياها ما يقرب من المليون ونصف المليون من اللاجئين الفلسطينيين فى خيام ممزقة ، وبكرامة ممزقة مثلها . مرأى ومسمع أصحاب الملايين من حكام العرب وأثريائهم والمترفين منهم .

وحَولهنَّ ملايينٌ مكدَّسةٌ
كالإثم ضُوعف لا يُحصيه حاسبه
ما أوقح الورقَ الدينار كم شمخت
على مناصبِ حاوية مناصبه
هذا الأديمُ سيُخزي منه وادعه
حتى يصبَّ عليه اللعنَ غاضبه
يا ويح ما سوف تلقاه مخنّثةٌ
من القصور اذا ثارت زرائبه
لسوف يحقب من عارٍ ومن ضعة
من راح أمسِ مليئاتٍ حقائبه

* * *

يا قائد « الفتح » يَستذرى بنبعته
نبعُ الفداء وترعاه مواهبه
نِدٌ مع الموت غضباناً يناجزه
وجهاً لوجه كجلاّد يناصبه

يلقى الحديدَ بأضلاعٍ يفجرها
حقدٌ يذيب شبا الفولاذِ لاهبه

يهتزّ بالجرح تلوَ الجرح يحمله
كالسيف يعتزُّ أن فُلَّت مَضاربه

يا واهبَ المجدِ أعراقاً يفصِّدها
أغلى من المجد كنزٌ أنت واهبه

وجالبَ النصرِ عن صبرٍ وعن ثقةٍ
والنصرُ منهو- الاّ الصبرُ - جالبه ؟

أُثني عليك بما يُثنى على بطلٍ
نبعُ البطولات أشباهٌ مَساربه

وما عسى يبلغ المنطيقُ من رجلٍ
أسمى وأبلغُ من نطقٍ مناقَبه

بل لو نثرتُ النجومَ الزهرَ أعوزني
نجمٌ يوفيّك حقَّ القولِ ثاقبه

* * *

يا قائـد « الفتح » انَّ النفَس مُرسَلَةٌ
كالطـير تتـرى مراسـيلاً عصائبـه(٢٥)

وأصـدقُ الشعر ما هبَّت نسـائمـه
مـن الضمـير ومـا شبَّت لواهبـه

وخـيرُ من قيِض للنجـوى أخو ألـمٍ
نـدبٌ أراح عليـه الهـمَّ عـازبـه(٢٩)

أفرغتُ روحي في الأرواح أمحضُها
بثّـاً صُـراحـاً وشـر البث رائبـه(٢٧)

---

(٢٥) مرسلة من الاسترسال وهو الانبساط فى متابعة الحديث والمراسيل ـ ومفردها مرسال ـهو فى الاصل سهولة السير ونعومته للنوق ، وهى هنا توسع فى نقلها الى وصفٍ للطف طيران عصائب الطـير وتتابعه .

(٢٦) قيض للنجوى : هيّئ واتيح لها، والندب النجيب والكريم، ورواح الهم وعزوبه تكرره ومداومته فهو لا يكاد يذهب حتى يعود .

(٢٧) الصراح : الصريح ، والرائب : الكاذب ، وهما فى الاصل عند العرب للبن بزبدته وللبن المسحوبة زبدته منه .

والقطعة هذه والسابقة لها اطراء لقائد « منظمة فتح » وثناء له على بطولته وصموده وتوجيهه ، ثم بث الشاعر اياه أحاسيس نفسه ، وخوالجها ، ومناجاته بصراحة ووضوح عما تجيش بـه المجتمعـات العربية من مضاعفات ومفارقات ، ومن تناقضات أيضا فى القـاء

أشكو اليكَ تضاعيفاً بمُجتمعٍ
على مَحاسنه أربت مَعايبه
ما ان تزالُ به الأعباءُ جاثمةً
على القليل اذا نابت نوائبه
شطَّ المسافُ أفادٍ نفسَه كرما
ومُفتداةٌ بأهليه مَكاسبه
وصاهرٌ في جحيم الناس مهجتَه
طاوي المُصيرِ على الضرّاء ساغبه
وامَّعاتٌ فلا زرعٌ وزارعُه
همُ لديهم ولا ضرعٌ وحالبه
تُباعدُ الموتَ اشفاقاً ويدمغها
شرٌ من الموت اذلالٌ تُقاربه
وناسجون من الأحلامِ أردية
كلٌ تجلبب منها ما يُناسبه

التبعات الكبار والكثار على عواتق معدودة ، وفى تخلى الآخرين عنها ، وركونهم الى الدعة وحب السلامة واشارة الى فريق آخر يعيش فى الاحلام يلذها ، وفى الاوهام يغالط نفسه بها .

ومنطوون : علاليهم صوامعُهم

ليت البديلَ بهم دَيرٌ وراهبه

نعم الرِهانُ اصطلى بالعار خاسره

وانصاع مُعتمِراً بالغار كاسبه

يا قائد « الفتح » لم أهدف الى شَغَبٍ

وأنت عندك من همٍّ شواعبه(٢٨)

لكنَّها نفثاتٌ يُستراح بها

وقد تُعينك في همٍّ جوالبه

* * *

يا قائدَ « الفتح » ما فتحٌ بلا تعبٍ

مهرُ الطَماحِ الى العليا مَتاعبه(٢٩)

---

(٢٨) معنى البيتين : اننى لم أقصد ان أصدعك بما أبثك واناجيك وأنت عندك صدوع من جراحات جمة ، وانما هو بثٌ استريح اليه وفى الشطر الاخير منهما يتمثل الشاعر على ذلك فيقول : ان جوالب الهموم بحد ذواتها تكون فى بعض الاحيان دوافع لها ، أى ان ما يثير الحزن أو الهمّ فى نفسك قد يكون مساعداً ونصيراً على تخفيفهما ، اذ يكون كبتها وحبسها مضاعفاً لها ومزيداً فى تأثيرها واعتمالها .

(٢٩) فى هذه القطعة الاخيرة تأميل وتوقع لما سيسفر عنه ـ لا محالةً ـ

مـا لذَةُ الـدربِ معموراً تسـايـره

وقيمــةُ الأمــر ميسـوراً تطـالبـه

يا قائـد « الفتح » والدنيـا الى صُعُدٍ

والفكـرُ يستبـق الغايـاتِ دائبــه

وربَّمـــا ازدهــرت غنــاءَ وارفــةً

غــداً مـن القمـر النائي خـرائبــه

تُمايز الـكـونَ عـن كـونٍ طبائعه

وتَفرقُ الجيلَ من جيلٍ ضـرائبــه

سيـدرك بــن غـد عـزمـاً ومقـدرةً

مـا نحن عن خَورٍ فينـا نُجـانبــه

فطالمـا جبَّ عهـدٌ وزرَ سـابقِـه

كما نفى الغلطَ المفضـوح شـاطبـه

الغد الذى يتمخض عنه اليوم المشحون ٠ والمؤذن بالانفجار ٠ وأن المستقبل المنتظر سيمر على أمس الغابر كما يمر المصحح على أغلاط يشجبها وسينهض الجيل للجيل كما ينهض المتبارزان فى حومة القتال ٠

وقد تؤنّب أسلافاً خلائفُها
كما تؤنّب طفلاً أو تعاقبه
سيُسفر الغدُ خلّته شوائبه
مثلَ الجَمامِ انتفتْ عنه شوائبه
سيحفزُ الجيلَ أجيالٌ تسابقه
كما تُطاعن قَرنا أو تضاربه
لسوف تحدوه للمغنى نواشطه
وانْ ترامت طليحاتٍ لواغبه
وسوف ينجاب كالاصباح مُقتبلٌ
هذي الضحايا عزيزاتٍ جوائبه
ما أبعد اليومَ عن غرٍّ يجانبه
وأقرب الغدَ من واعٍ يوائبه

رسالة مملحة ...

إلى أخي السيد "عماش"

أرسلها الشاعر من « براغ » ، من مشارب « سلوفينسكي‌دوم »(*) الى صديقه الفريق أول الركن صالح مهدي عماش عضو مجلس قيادة الثورة ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، يتشوق بها اليه ، ويحاوره فيها على أثر الحملة التى شنّها على « الميني جوب » فى العراق .

وقد اجابه السيد « عماش » بقصيدة على وزنها وروِيّها يجدها القارىء أثناء الشرح على القصيدة .

كما أنه ـ القارىء ـ سيجد مقطعاً من قصيدة يعدها السيد الجواهري جواباً على جواب السيد « عمّاش » .

(*) « سلوفينسكى‌دوم » تعني بالعربية « البيت السلوفاكي »

وفَّى لهـــا نـذراً فـوافـى

وسـعى بهـا سـبْعاً وطـافـا

ورمـى لهـا الجمـراتِ مـن

قلبٍ تعلَّقهـا شِـغـافـا

عــاد الحجيجُ وقــد سعى

وسـعى ويـأبى الانصـرافـا

يتلمَّس الحجُـراتِ يعرفهنَّ

قــربـى وازدلافـا(١)

ويــرى بـكــلِّ ثنيِّــةٍ

بعثـاً لـذكـرى واكتشـافا

* * *

ألـوى بهـا والثلـج يحتضن

المشــارفَ والحفــافـا

الســمحــةُ المعطـاءُ حـمِّلت

الخصـاصـةَ والشـظـافـا

(١) الازدلاف كالزلفى التقرب والتودد .

سيمَتْ عن المرَحِ الخَـواء

وعـن رغادتهـا الـكفافـا

عَريت فراحت بالنديف البَضِّ

تـدَّثَــرُ التحـافـا

حتّى المسارجُ فى الكُـوى

الخفـراتِ يخفقن ارتجـافـا

وشـتـا بهـا وكـأنَّـه

لم يشـت قبـلُ • ولا أصافا

متنظِّـراً عـرس الَربيـعِ

لعلَّـه يـرعـى الـزفـافـا

* * *

آهٍ عـلى « ابـن العبـدِ » إذ

يتبرَّضُ اللهـوَ اشـتفـافا(٢)

---

(٢) « ابن العبد » هو الشاعر المجلي ابن الخامسة والعشرين ، « طرفة بن العبد » صاحب المعلقة الشهيرة ذات المطلع :

لخولة أطلال ببرقـة ثهمـد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

يهوى «الطراف» و «بهكناً»

بضّاً ، وأن يحمي المُضافا(٣)

لو عاد لاختصر المسافا

لدنا ، وحيّا ، واستضافا

لرأى له وسَطَ الجبالِ

الخضرِ من ثلجٍ طرافا

لاعتاض عن حلبِ العصير

مشى به عِلجٌ وداف(٤)

والاشارة هنا ، فى هذه القطعة الى أبياته فيها :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وحقك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبقى العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرّى اذا نادى المضاف محلئا كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن ـ والدجن معجب ـ « ببهكنةٍ » تحت الطراف المعمد

وتبرض اللهو تبرضا إشتفه إشتفافاً أى تعاطاه بنزارة وبقلّة .

(٣) و « الطراف » الخيمة والطنب ، أو البيت من الأدم ، وهو الجلد والبهكنة المرأة السمينة الجميلة . و « المضاف » . وهو من استُفرد وأُحيط به فى الحروب أو الملتجىء وهو المستضعف أيضاً .

(٤) حلب العصير يراد به الخمرة المحلوبة من عصارة العنب ، والعلج فى الاصل السمين الغليظ واستعير لابناء الاقوام من غير العرب وغير المسلمين منهم بخاصة ، وداف : مزج وخلط .

حلَبـاً تقطّـر مـن شـفـاه

الغيـدِ يُعتصـر انتـزافـا

وعن « البهاكِن » كلَّ رودٍ

تُسـرج الليـلَ الغُـدافـا(٥)

* * *

« أأبا هُـدىً » شـوقٌ يلحُّ

ولاعـجٌ يُذكي الشِعافـا(٦)

شـوقَ المُبـارحِ لم يغيّـره

البعـــادُ ، ولا تجـافـى

وهـوىً يضـجُّ كعاصـفٍ

يتـوعّـد الشـجرَ انتصـافـا

يصفيـك محـضَ وداده

حـرٌّ يُصـافي اِذ يُصـافى

---

(٥) الغداف الأسود وهو فى الاصل لجناح الغراب ، وللشعر الاسود المسترسل .

(٦) أبو هدى هو كنية السيد (عماش) ، والشعاف ومفردها شعَفة بالتحريك هوملتقى نياط القلوب ، ويذكى الشعاف يضرمها ويشعلها .

يهب الحُشاشةَ لاذماً

منها يعاف ، ولا سجافا(٧)

حلوُ السريرةِ ، ينطف

العسلَ المُصفّى والسُلافا

فاذا استُثير فقلْ بصِلٍّ

ينفث السمَّ الزعافا(٨)

يا منتج الدررِ الحسانِ

مَعانياً غراً ظرافا

يقطرن ابداعاً ، وايثاراً

وحبّاً ، وانتصافا(٩)

نُبّئتُ أنّكَ توسع

الأزياءَ عَتّاً ، واعتسافا(١٠)

---

(٧) ذما من ذماء وهى البقية من نفس الانسان ومن قوة قلبه والسجاف هو الغشاء الخفيف على قلبه ، ورئتيه .

(٨) الزعاف : صفة للسم القتّال .

(٩) الانتصاف هو الاخذ بالعدل للحقوق المغصوبة .

(١٠) العت : كالعنت أى التشدد والتعنت ، والاعتساف والتعسف ، الظلم .

تقفـو خطـى المتـأنقـات

كسـالـك الأثـر اقتيـافـا(١١)

وتقيس « بالأفتـار » أرديــةً

بحجَّــةٍ أنْ تنَــافى

مــاذا تُنـافِي ؟ بـل ومــاذا

ثــمَّ مـن خلُـقٍ ينُـافى؟

حـوشيـتَ ، أنـت أرقُّ

حاشـيةً ، ولطفـاً ، وانعطـافا

وأشـــدُّ لِصقــاً بالحجـى

وألــدُّ بالعـدل اتصـافـا

أترى العفاف مقاس أقمشـة ؟

ظلمــتِ اذن عفــافــا

هــو فى الضمائر لا تُخـاط

ولا تقـصُّ ، ولا تكافى

---

(١١) الاقتياف هو التعرف على مسالك السالكين من تتبـع خطاهـم على الارض ، والمقتافون الفئات المتخصصة بذلك .

من لـم يخف عُقبى الضمـير

فمِـن سـواه لـن يخـافـا

* * *

يا قـائـدَ الجيش اقتحـامـاً

والتحـامـاً ، والتفـافـاً(١٢)

---

(١٢) القطعة خطاب للسيد عماش بصفته العسكرية ـ فريق أول ركن ـ بعد ان كانت مخاطبته فى القطعة السابقة بصفته الادبية والشاعرية ومطالبته أن ينتقـل بكلٍّ براعاتـه الذهنيـة القويـة من اقتحـام والتحام ، والتفاف الى ميادين المجتمع العراقي وان يقضي على كل مخلفات العصور القديمة ورواسبها ، وعلى الأخطبوط الارتجاعي المديد الذي يستنزف بذرائع كاذبة ، وأساليب ملتوية عـدة كل طاقـات الشعب وحيوياته ، ويعوقه عن ركب الحضـارة ، وعن مقومـات الحياة العصرية ، وعن كل المباهج والمسرات البريئة الجميلة التى يزخر بهـا كلُّ مجتمع قائم على مبادىء حقوق الانسان فى عيشة مرضية رضيّة .

وفى القطعة صور عديدة لمظاهر الحرمان ، وفيها الى ذلك تعبير عن مدى التخلف الفظيع والمخيف فى العراق حتى الآن ، وعما سيجره وراءه من خطر التخلف المستمر فى حين يتصارع العالمان الشرقي والغربي على اقتحام الافلاك ، وعلى اقتسامها أيضا .

ومردفة خلافا ، يراد بها ما يردفه الانسان خلفه فى سفره من شخوص وحاجات والبيت :

زحفـا كبيت ـ فى قصيد عـامر ـ يشكـو الزحافا

طوِّقْ جهالاتِ الحمى
والعنعناتِ به الجُزافا
وتقصَّ كلَّ جذورهنَّ
فلا القويَّ ، ولا الضعافا
أشِع الحياةَ ولطفَها
في موطنٍ يشكو الجفافا
أقوى فلا المرحَ استجدّ
ولا الصداحَ ، ولا الهتافا
وخلا كما تخلو الفيافي
غيرَ أتربةٍ تَسافى
وسوى العروقِ الناشفات
كأنّها تشكو الرُعافا
ان لم تُسل نهرَ الحياة
فخلِّه يرد الضفافا

هو كناية عن تخلف المجتمع العراقي تخلف البيت من الشعر الذى أدركه الزحاف ، وهو من عيوب الشعر خلال قصيدة عامرة مستقيمة .

فلقد أشاع الخوفَ فيه

وذُلُّ شعبٍ أن يخافا

وحشٌ من الحرمان لا

يُعفي السمانَ ، ولا العجافا

عصر الدماءَ من الوجوه

وردّها صُفراً ، نحافا

وأشاع فيها وحشةً

كالليل تأبى الانكشافا

هوت المحاجرُ بالعيون

كأنّ فيهن انخسافا

وتضرّت الرغباتُ منعَ

العاطشِ العذبَ النطافا

قسماً بودك وهو حلفة

مؤمن يأبى انحرافا

إن لم نَدِن بالانطلاق

ولم نُصَفِّ الارتسافا

فلألف عامٍ سوف نبقى
مثلَ مُردفَةٍ خِلافا
متقهقرينَ اذ العوالمُ
تسبق الزمنَ استلافا
ستَدور فى القمر الملاحمُ
توسعُ الفلكَ انجرافا
كسباً لأيِّ الغازيينِ
يحلُّ دارته ادلافا
ونظلُّ نحن نُطيل فيما
لا خلافَ به خلافا
زحفاً كبيتٍ في قصيدٍ
عامرٍ يشكو الزُحافا

* * *

يا من رأى فلكَ النجوم
مشى بأكوابٍ وطافا(١٣)

---

(١٣) المراد بـ « فلك النجوم » السقاة فى مشرب « سلوفينسكى دوم » فى « براغ » ويوضح ذلك بقية البيت .

هذى الصحافُ من الزبرَجدِ

رُحن يحملِن الصحافا

ساعاً على ساعٍ وقوفاً

وانتشاراً ، واصطفافا

ينعمنَ بالكدح الشريفِ

يوفّر العيشَ الكَفافا

الساحراتُ فمن يردُّكَ

انْ يطرن بك اختطافا

والناعساتُ فما تُحسُّ

الطرف أغفىَ ، أم تغافى

والناهداتُ يكاد ما

فى الصدر يُختطَف اقتطافا

والخيّراتُ الناذراتُ النفسَ

للطيب اعتكافا

هدي المسيحِ الى السلام

على العيونِ طفا وطافا

ودمُ الصليب على الخدود

يكاد يُرتشف ارتشافا

علَّقن في أوساطهن

مآزراً بيضاً ، خفافا(١٤)

ورددنهنَّ الى الظهور

فكن أردفةً رِدافا

ساءلت نفسي لا أُريد

لها عن النحو انصرافا

أترى « المضافَ اليه » أحلى

أم عُلاقتَه المضافا

أحكمن جارحةً فجارحة

رسوخا وانعطافا

ما يعلُ يعلُ الكائنات

وما يحطُّ فقد أنافا

* * *

(١٤) البيت والابيات الثلاثة بعده وصف للزيِّ الموحد الذى يرتديه الجنس اللطيف فى المشارب والمقاهي والمطاعم .

« أأبا هـدى » ان كنتُ
مُتَّهمـاً ، فخـذ منى اعترافا
انـّي ورب صـاغهـن
كمـا اشتهى هيفـاً لطافـا
وأدقهـن ومـا ونـى
وأجلـّهـن ، ومـا أحـافـا(١٥)
لأرى الجنـانَ اذا خلـت
منهـن أولى أن تُعـافـا
لو قيـل مـا سـفر الحيـاة ؟
لقلت : مـا كـن الغـلافـا
أو قيـل : كيـف الحـبُّ ؟
قلتُ بأن تُـداءَ فمـا تَشافى(١٦)

* * *

(١٥) أحاف أي جار وظلم .

(١٦) يداء أي يصاب بالداء وبالمرض .

وفّـى لهـا نـذراً فـوافـى

وتجرّمـوا فيـه اقترافـا(١٧)

---

(١٧) فى هذه القطعة الاخيرة تعرض لتقولات المتقولين على أثر مغادرة السيد الجواهري العراق للمرة الثانية الى « براغ » بعد رجوعه منها لاول مرة عن تغرب طال قرابة ثماني سنوات ، وارجافهم انه لن يعود منها . وهو يرد عليهم بأنهم كانوا كاذبين فى جملة تقولاتهم وان كانوا أصابوا فى جزء منها هو على قدر حرف « القاف » من كلمة « الصدق » وهذا الجزء هو فيما يتعلق بخوفه مما سماه بـ « خلق الفوارك » جمع « فاركة » وهى التى تدأب على حب « الطلاق » من أزواجها لبغضهم اياها وهو من « الفرك » بالتسكين وبالتحريك معا وهو البغض ويكني بهذا عن خوفه من ملل المالين .

ويشير بالبيت : ما انفك يؤثر حرة الى بيت من صلب قصيدة له لم ينشر بعد يقول فيه :

يـا غـاديـاً لسفوح دجلة حيـث طينتهـا تشـمّ

واستاف الترب أو الطين أو العطر شمّه .

وتستمر القطعة حتى نهايتها فى تبسيط نظرة الشاعر الى الحياة ، ومدى تخالفها ونظرات الكثيرين اليها .. فبينا يراهـا هـو مرحلة محدودة المسافة والزمن والغاية ، ومطافاً يجبر المرء أن يطوفه بكل ما فيه من أوعار وسهول ، ومرتفات ومنحدرات ، وخير وشر وبينـا يراها مفازة تتقاذف الناس وتساقطهم كما تنقذف النيازك والرجوم من النجوم .

وان للمرء فى هذه المفازة موعداً مـع الموت من العطش لابـد ان يدركه ان عاجلا وإن آجلا وان فيهـا الى جانب كل هـذه المخـاوف والمخاطر واحات خضراء ظليلة تعن للمسـافـر والمطوّف بـين فترة واخـرى ، ومكـاناً يتهيـأ لـه ـ للمرء ـ أن يقطـف من قطوفهـا

ظنّـوا الظنـونَ بـه وقالوا

عـقّ مـوطنَـه وعـافـا

كذبوا ، وان كانـوا أصابـوا

من حروف « الصدق » قافـا

ما عـاف .. لكـن خـاف من

خلـقِ الفـوارك أن يُعافـا

مـا انفـكّ يـؤثـر حـرّةً

مـن طـينِ دجلة أن تُسافـا

وثمارها ما شاء ، ذلك لان وراء هذا المطاف قبراً مظلماً ، ودوداً زاحفاً ينهيانه ويتسلمان فيه المطوف ليحيلاه ترابا .

بينا هو يراها على هذه الشاكلة ، ويحسبها على هذه الصورة اذ بالآخرين يحسبونها أياما وليالي تعد لتنقضي ، وخواء يسد منه الفراغ بالتكالب على حطام الدنيا ، وباثارات للجدل وللخصام ، وبتهافت شره على مطعم ومأكل وملبس ، وبالاجمال فعلى مظاهر زائفة لا تغنى من روح ، ولا تسمن من ذهن .

ثم انه ليرى الحياة موتا مريراً ما لم تمازجها البهجة ويتراوح معها الحبور ، وهم يرونها اسفافاً فى الهزل ، واحترافاً بغيضاً فى الجد والعمل ، قدر ما يرونها معرضا لتصنع الجاه الكاذب يتصنعه كبش النطاح اذ يستهوي به الخراف التابعة له .

لكنّه عــاف ابتعـــاداً

في المنـــازع واختـلافــا

وها هي القصيدة التي أجاب فيها الفريق أول الركن السيد « عماش » على الرسالة المملحة هذه نسبنا ايرادها هنا كاملة لما فى ذلك من اتمــام صورة واضحة للحوار ؛ وهي :

لاحِ سـقـانيهـا سـلافـــا

ورمى بهـــا غيـداً لطـافـا

طابت « مملحـــة" بهـــا

الابيـات تقتطف اقتطـافـا

« نبئتَ أنى اوسع الازيـاء

عتـــاً واعتســـافـا

« اقفـو خطـى المتأنقـات

كسالك الأثـر اقتيـافـا

« وأقيس بـالافتـار أرديـة

بحجّـــة أن تنـــافـى »

ودعـوتني للمكـرمـات

لعـون شعب أن يخـافـا

ورويت عن « فلك النجـوم

مشـى بـأكواب وطـافـا »

« السـاحـرات فمن يـردك

ان يطـرن بـك اختطـافا »

ونسيت اني لا أخاف المـوت

بلـه غراب نـازلة غـدافـا

هـو يحسـب الـدنيـا مطافـاً
كـــان حتمـــاً ان يُطـافـــا

ادمي اِلـه الحـرب طعنـــاً
واقتحـــامـــاً والتفـافـا
من يـُدم خاصـرة اللبـوث
اِذا انثنـت فينـــا زرافـــا
لا يخش خـاصـرة الغـواني
والمـــآزر ، والـردافـــا
«والناهدات يكاد ما في الصدر
يختطـــف اقتطـافـــا »
مـن يخطف الثمـرات فـى
صـدرٍ تجـــلى أو تعـافـى
اِلا «على بابا» بزوراء العراق
مشـــى وطـــافـــا
« ودم الصليب عـلى الخدود
يكـاد يرتشـف ارتشافـا
« علقـــن فى اوسـاطهن
مـآزراً بيضـاً خفـافـا »
« ورددنهـن الى الظهـور
فـكـن اردفـة ردافـا »
اِن تثقـل الأزرُ الظهـور
فتلـك مسـالـة تـلافـى

أوعارُه وسهولُه

يتمازجان به ائتلافا

ساءلت نفسك لا تريد
لها عن النحو انصرافا
« أترى المضاف اليه أحلى
أم علاقته المضافا »
إني أرى أن المضاف
به السعادة أن يضافا
بئس المنبِّىء لم يرم
فى الكذب للحق انتصافا
عوذاً بكم أهل الحجى
أن تقبلوا الخطأ الجزافا
ما كان « عماش » يغيظ
الغيدَ ، بل خطأً تلافى
أوسعته للاجئات
ففي غدٍ تلقى مطافا
من يدر قد نلجا غداً
ونلف نرتجف ارتجافا
لو طفت في الاردن
أكبرت العروبة والطوافا
ورأيت ملتاعاً يمزق
جرحه منك الشغافا

قفرٌ تقاذفنا كما

تتساقط الرجمُ انقذافا

فعلامَ نمرح والسويس

تدك بالنار انقذافا

للاجئات المقبلات

الطول أولى أن يضافا

« راشيل » تضربنا رصاصاً

دمدماً غدراً بيافا

و « الموشي » يغترف الدماء

القانيات بها اغترافا

وشبابنا يتخنثون «خنافساً»

هوجاً ، عجافا

إنّا نريد مآثراً

لا قصر أردية كفافا

نبغي من النسوان تربية

البراعم والعفافا

سلها أيعجبها المخنفس

أن يزف لها زفافا

أم تعشق الأسد الهصور

الكفء ، والبطل المعافى

سلوفينسكي مرتاد السلافين

أولى أن يعافا

لكَ موعدٌ والموت من
عطشٍ يُوافي ، أو يُوافى

وطباعنا فى بعض ما
يجدون من طبعٍ تنافى
أخشى على فتياننا
منه انسياقاً وانجرافا
أخشى على الجيل انهياراً
وابتذالاً ، وانعطافا
وذكرت عن صنع الاله
كما اشتهى هيفا لطافا
« وترى الجنان اِذا خلت
منهن أولى أن تعافا »
اِني - أبيت اللعن - اطلقها
اعترافاً ، واعترافا
أهوى خيال الفاتنات
واِن حوى سمّاً زعافا
أرنو لهنّ بلهفةٍ
وأكاد أترك ما تجافى
أفدي المضاف اليه اِن
ترك العلاقة والمضافا
لكن ما يرضي الفضيلة
ذاك أحرى أن يضافا
واحب حسن الغانيات
يزين بالطهر العفافا

وبــه مــن « الواحــات » مــا

يُــدنــي لمقتطفٍ قطــافــا

ووراءه لحـــــــدٌ ، ودودٌ

ينهيــــان بـــه المطافـــا

وقد أجاب السيد الجواهري على هذه القصيدة ، بقصيدة على رويّها وبحرها ، لم تكمل بعد ، مطلعها :

وفــى لــه نــذراً فــوافــى

بخــريــدة كرمت قطــافــا

ومنهـــا :

مهــلاً أبا المهــدي ـ مهــلاً

ان فــى الحــق انتصــافــا

مهــلاً فــان مفاخــر النظــراء

انصبــة تــكــــافــى

خمسون حين الــكهل طفــل

كــان يقطعهــا ارتســافــا

واذ العــروبــة لفظــة

جــوفــاء مرســلة جــزافــا

فجــرت فــى جنبــاتهــا

جســداً وروحــاً وانعطافــا

أذكــت قوافيّ الجــريحــة

مــن فلســطين الشــغــافــا

فاذا بدا نبعٌ لعينكَ

فيه فاغترف اغترافا

وهمُ يُغذّون المطافَ

ويُفسدون به الطَوافا

ولَقَبْلَ جيل حين كان

الحرف أتربة تسافى

طوفتُ بالاردن والجرحى

وأحسنت الطوافا

ولقطت منها الحشرجات

وصغتها دمعاً ذرافا

شعراً كأن عليه نيرانا

وصافية سلافاً

كان الصداح أهز أجيالا

به كان الهتافا

ومشى الىّ دم الشهيد

يكاد يرتشف ارتشافا

ناغيت بالدم والهوى

وبتلكم النفثات « يافا »

انسيت اذ « حط الركابا »

فيها واذ لثم الضفافا(١)

---

(١) اشارة الى قصيدة السيد الجواهري الشهيرة « يافا » والتي مطلعها :

بيافا يوم حط بها الركاب

تمطر عارض ودجا سحاب

يجدونه جدلاً ، ومتّجراً

ونبتاً ، واعتلافا

اذ راوحت غرف الجنان

له على « اللد » السجافا(٢)

واذا الجراح على قوافيه

تقطرت انتزافا

انسيت « اغنية الفداء »

ومن تناساها أحافا(٣)

---

(٢) اشارة الى أبياته من هذه القصيدة ـ يافا ـ التى يقول فيها :

ولما طبق الارج الثنايا

وفتح من جنان الخلد باب

ولاح « اللد » منبسطاً عليه

من الزهرات يانعة خضاب

نظرت بمقلة غطى عليها

من الدمع الضليل بها حجاب

وقلت وما أحير سوى عتاب

ولست بعارف لمن العتاب

أحقاً بيننا اختلفت حدود

وما اختلف الطريق ولا التراب

وما افترقت وجوه عن وجوه

ولا «الضاد» الفصيح ولا الكتاب

(٣) اشارة الى قصيدته الشهيرة « الفداء .. والدم » وهي القصيدة الثانية في هذا الديوان .

ويرى الحياةَ اذا خلت

من بهجةٍ موتاً ذَعافا

ويرونها في الهزل اسفافاً

وفي الجدِّ احترافا

إذ كل حرف عندها

يشكو من الالم الرعافا

* * *

مهلاً أخي « عماش » قد

اوجفت في الدرب اعتسافا

لا يصنع الجيش اللهام

وان أناف وان أخافا

في الحرب ما أنا صانع

اذ اوسع الرجم انقذافا

أنا رب « حطين » و « يافا »

أنا صاحب القلب المعافى

* * *

مهلاً أخي « عماش »

وقيت التنازع والخلافا

أنا لست ابرح أحسب الدنيا

انطلاقاً وانكشافا

وتصنُّعاً للجــاه يسـتهوي
بــه الـكبشُ الخـرافــا

وأرى النضـــال وملعــب
الخفرات أقـرانـاً ردافـا
من خــاف من حب الحيـــاة
تخــوف المـوت الذعـافـا

يابن الفراتين ...

القي قسم منها فى مهرجان الشعر التاسع ببغداد فى شهر نيسان عام ١٩٦٩ .

وكانت القصيدة لم تكمل بعد لسبب مشاركة الشاعر فى المؤتمر قبيل انعقاده بثلاثة أيام فقط .

يـا ابن الفراتـين قـد أصغى لك البلدُ

زعمـا بأنـك فيـه الصـادحُ الغردُ

زعـمٌ بحسبـك منه الفخرُ ان صدقوا

أو لا فواجـدُ هـمٍّ بثَّ مـا يجـد

ولـن يهوّن بثٌّ مـا تجيشُ بـه

وقـد تهونُ عـلى النفاثـةِ العقـد(١)

مـا بـين جنبيك نبـعٌ لا قـِرارَ لـه

من الطـامـح يستصفي ويـَرتفـد(٢)

اذا تخلصـتَ من هـمّ أطحت بـه

شـبت همـومٌ عـلى انقاضـه جُـدُد

---

(١) النفاثات فى العقـد الساحرات اللواتي يعملن سحرهن فى العقـد المشدودة فتنحل من نفسها امعانا منهن فى القدرة على السحر، ومعنى البيت : مخاطبة الشاعر نفسه بأنه مهما استعان بالشعر عـلى بث همومه ، فان هذه الهموم أضخـم وأكثر من أن يهوّن منهـا البث والنجوى ٠

(٢) معنى البيت وتاليه استمرار للبيت قبلهما وتبيين : ان بين جنبي هذه النفس الشاعرة نبعاً عميق الغور لا نهاية له من المطامح العليا وان هذا النبع يظل أبدا يستسقي ينابيع اخرى بمنزلة الروافد له ٠

كأن نفسَك بقيا انفسٍ شَقيت

وكلُ ذنبِ ذويها أنهم وُجِدوا(٣)

وانهم حلبوا الايام اضَرعها

حتى اذا محضتهم درَّها زَهدوا

فاضت على الكرة الجوفاء وانطلقت

تُوفي على عالم أوفى وتقتعد

مشعشعات وليلٌ حولها طبقٌ

وطاهراتٌ ورجسٌ دونها نُضُد

---

(٣) هذه القطعة ابتداء من هذا البيت حتى البيت :

وانهم خرجوا منها بأفئدة من الاسى ، والاذى ، والحب ، تفتأد

وصف لهذه الزمر من ذوى النفوس الكبيرة الطامحة ، والمعذبة التي تجيء الى الدنيا مرغمة فتشقى وكل تبعتها فى تحمل ذلك محض كونها قد وجدت . وان هذه النفوس تظل ما عاشت تهب الحياة الخير ، والرقة ، والحب ، والاشعاع ، ولا تأخذ منها غير العذاب ، والالم ، والجراح النازفة ، وانها تعيش هذا العمر المفروض عليها وكأنها غريبة عن كل ما حولها ، وشريدة فى ارجاء العالم الفسيح . وانها وهي كذلك لتفيض على هذه « الكرة الجوفاء » على هذه الدنيا ، سعة وانتشارا لانها أكبر منها ، وانها « توفي » على عوالم من صنعها وتخيلاتها أوسع وأوفى ، لتأخذ محلها ومكانها منها .

اعتفد : أغلق عليه بابه ليموت جوعاً .

يرتاد في سوحها كونٌ بأجمعِه

وما لها سَبَدٌ فيه ولا لَبَد

ويستقي دمَها جيل وينكرها

ويَغتذي روحها خلقٌ وتعتفد

وأنهم خرجوا منها بأفئدة

من الاذى والاسى والحب تُفتأد

وأنهم وقد التاثت عقائدهم

زيفاً ومحضاً أدانوا كلَ ما اعتَقدوا!

* * *

يا ابن الفراتين لا تحزن لنازلة

أغلى من النازلات الحزنُ والكمد(٤)

---

(٤) فى هذه القطعة حتى البيت :

فى ذروة المجد لا يصبيك منحدر ولا يروقك منه ساحل نجد

يثبت الشاعر نفسه ، ويوطنها على تحمل المكاره ، والشدائد ، وعلى

دوح الرجولة لا تلوي الريـاح بـه
لـكن تُنفـض أوراقـا وتُختضـد

مجابهة مآسي الحياة ، ومهازلها ، وتناقضاتها بكل ما يعهده فيها – أى فى نفسه – من عزيمة ، وجلد ، وثبات .

كمـا يوصيهـا الى ذلـك ان تكبـت فى نفسهـا مـا تجيش به من أثر الصدمات ، ووقع الآلام . وهو يقول بهذا الصدد : ان التأسي تكلف الا أن ينفي عنك الاسى ، وان التجلد ، وهو تصنع ، شىء والجلد ، وهو طبعي ، شىء آخـر . والشاعر يوصي نفسه ان يكون جلدا . والا فان يكون أسيا اذا اقتضى الامر .

ويخرج من هذا الى القول بوجوب الصراحـة فى القـول ، وفى المجاهرة بالرأي ، وبضرورة الصدع بكلمة الحق ، مهما كان عقبى ذلك . والى التشديـد على عدم التصنع فى الحرف ، وفى الـكلمـة وهو يرمز الى ذلك – من باب العكس والطرد – بما يتمناه الرجل على المرأة الحامل – وهي هنا طبيعة النفس وجوهر الارادة ، والفكرة المعتملة – من شكل المولود الذى تضعه ، ومن جنسه ، ناهيا عن ذلك ، أى عن أن يقترح الشاعر الموهوب شكل الفكرة ، أو الاسلوب أو نوعيهما ، دون الاهتمام بجوهرهما . وآمرة عـلى العكس من ذلك بتركهما حرتين ، يلدان ما يشاءان .

والبيتان الاخيران تحميل الشاعر نفسه ما تخاطر به من قول أو من عمل يصدع بهما ما تألفت عليه الحياة أو المجتمعات من قوالب ، ونماذج ، وصور ، ويشبهها بالبحار المخاطر المجازف الذى يتعمد أن يركب البحر هائجا ، مائجا ، عاصفا ، بل وحتى ان لا يقذف به الموج العارم الى الساحل الامين الذى يكون – عادة – من أعز أمانى المبحرين .

وهو يضيف الى ذلك ان الشاعر يحمل بين أضلاعه الد خصومـه ، وأشد أعدائه ، ويريد نفسه وهواه .

ولا تلذ بتعلات مسوفة

ولا يكتّفك صبرٌ حبلُه مَسد

فما التأسي اذا لم ينف عنك أسى

وما التجلدُ ان لم ينفع الجلد

لم يبق امسُك من عقبى يَلذ بها

يوماك ان شقيقَ الطارفِ التلد

وخل نفسَك تجرر من أعنتها

رسلا تَراوح ، أو تشتد ، أو تَخد

فان أفظع ما في الكون مضطهَدا

خوالج فى حنايا الصدر تُضطَهد

وما ضمانةُ قول لا شفيع له

من الضمير ولا من ذمةٍ سند

ولا تحاور بما استصفيت معتقدا

ولا بـ « كيف » و « ماذا » رحت تعتقد

ولا تغالط فقد أغناك زخرفةً
من قبل الفين فيما صاغه « لبد »
لا تقترح جنسَ مولود وصورتَه
وخلّها حرةً تأتي بما تَلد
وقل مقالةَ صدق أنت صاحبُها
لا تَستمنْ ، ولا تَخشى ، ولا تَعد
وما تخاف ، وما ترجو وقد دلفت
سبعون مثل خيول السبق تطّرد
لا ترهق الدهر عتباً أو مخاصمة
ففي دمائك خصمٌ كلُّه لَدَد
ركبت اثباجَ بحر جُنَّ عاصفه
ليلا ، فنوتيُه بالنجم يعتضد
في ذروة الموج لا يصبيك منحدر
ولا يروقك منه ساحلٌ نَجد

* * *

أمس استضافت عيوني في الكرى شبحا
به تلاحمَ أمسٌ مشرقٌ وغد(٥)

(٥) استضافت عيوني فى الكرى شبحا : كناية عن الطيف اذ تنطبق

ناشدتُه وعلى أنوابه علقٌ

من الدماء ، ومن حبّاتها زرد(٦)

ووجهُه كشعاع الفجر منطلقٌ

وعينه كوميض الجمر تتقد

عليه العيون فكأنها تستضيفه . والشبح المقصود – كما سيتوضح ذلك – هو شبح الجبار العملاق ابن الكوفة الحمراء ، أبي الطيب ، أحمد بن الحسين المتنبي . وتلاحم الامس المشرق والغد يراد به تلاقي الحضارة والتراث العربيين فى أعز العصور العباسية – وآخرها كذلك – انتاجا ، واستواء فى الفكر ، والرسالة ، والعلم ، والادب . بما يتوقع منها فى الغد العربي المشرق ، عبر أشعار المتنبي ، وعبقريته ، وشخصيته العملاقة ، والتى كانت – وما زالت – تعتمل وتتفاعل على ممر العصور مهيبة بالامة العربية أن تسرع فى تكوين شخصيتها ، وان تتخلص من اوضار المجتمعات المتخلفة ، ومن شوائب الانظمة الفاسدة ، ومن تحكم الافراد ، ومن سيطرة الاجانب .

(٦) العلق هنا الدم الشديد الغليظ والمتيبس منه على وجه التخصيص ، والزرد هو الدرع – المزرودة – ذات الزرد والحلق ، وفى البيت تشديد على هيئة الشبح – شبح المتنبي – المصبوغة بالدماء . ذلك ان المتنبي قتل وهو فى طريقه من – شيراز – عاصمة البويهيين أيام أعظم ملوكهم شأنا « عضد الدولة » الى بلدته الكوفة ، وكان مقتله على يد « فاتك » ، لسبب يكاد يكون سرا مجهولا حتى الآن . وذلك بالقرب من دير العاقول على نهر الفرات .

وفيــه تأليفــــةٌ من هيكـل عجب

فيـه الحمامـةُ جنبَ النسـر تتحـــد(٧)

أنا ابن « كوفتك الحمـراء » لي طنبٌ

بهـا ، وان طـاح من أركانـه عمـــد(٨)

جـوار كوخكَ لا ماءٌ ولا شـجـرٌ

ولصقُ روحك لا مالٌ ، ولا صفـد

ولا شكـاةٌ أيشكو السيف منجـردا ؟

لا يُخلق السـيف الا وهـو منجـرد

---

(٧) فى البيت اشارة الى ما تجمع شخصية المتنبي العظيم من سماحة النفس ، وصفاء الضمير . وهو ما اريد تشبيهه ب « الحمام » ومن قوة الشكيمة ، وصلابة العود – الى جانب الغضب الخلاق ، على تدني الطباع ، وتردي النفوس ، وتعاسة المجتمعات العربية وهو ما قصد تصويره ب « النسر » .

(٨) .البيت اشارة الى مجاورة السيد الجواهري منشأً ومسقط رأس ، وموقع دار لابي الطيب « المتنبي » وذلك لان النجف لصق الكوفة وعلى بعد مسافة قريبة جدا منها .

والعجز من البيت تعبير عن أن الطنب الذى ينزله الشاعر – ويريد به بيته – فى الارض المشتركة بينهما قد أطاح الزمن بعميد هـام من أعمدته الا وهو المتنبي نفسه .

خبّت بنا فارعاتُ الجو نُوسعها
ذرعاً ، وخبّت بك الزيافة الأُجُد

* * *

فكن أبا « الطيّب » الجبار لي مددا
ولي بما صغت من « جبارة » مدد(٩)

---

(٩) والقطعة حتى البيت :

وكان «كافور» فردا تستقيم له واليوم شتّى «كوافير» وننفرد

استعراض ونقد وتحليل للعالم العربى الذى عاشه المتنبي ، ومجتمعاته وأنظمته ، وجبلات النفوس فيه • وتركيز على وجوه مقارنات عديدة ، واليمة كذلك ، بينه وبين العالم العربى اليوم الذى ينوء بثقل باهظ من رواسب العصور المظلمة ، ومن مخلفاتها ، ومن أنظمة الحكم شبه الفردية فيها ، ومن عقد النفوس ، واختلال الطبائع، وضياع المقاييس •

و « ابن عباد » هو الوزير المستبد ، والاديب الضليع ، وصاحب الرسائل المنسوبة اليه • الصاحب بن عباد ، أمير العراق ، والمتصرف المطلق في شئوونه وكان من ألد أعداء « المتنبي » لمحض انه تمنع بأباء عنيد عن مدحه وان ببيت واحد من الشعر بالرغم من استماتة «الصاحب» فيهذا السبيل ، فكان من ذلك ان أغرى به كل شعراء بغداد ومتشاعريها ، بشتمه ، وقذفه ، شتما وقذفا فظيعين وفى رواية انهم كانوا نيفا وأربعمائة شاعر وشبه شاعر •

و « كافور » هو الاخشيدي أمير مصر ، وبر الشام ، الذى قال فيه المتنبي غررا محجلة من قصائده بادىء ذى بدء • ثم برم به

يـا شـاغلَ الدهـر أجيـالا وأحقبـة
ومتعب الناس من ذمّوا ومن حمدوا
ويـا معـرّي اطبـاع ومـا خبـأت
ويـا محطـم أصنـام ومن عبـدوا
عـلى الوجوه مشـت اكذوبـة عرض
وقر تحت الجلـود الجـوهرُ النكـد
الغـائصـون الى الاذقـان في وحـلٍ
ويزعمـون ريـاءً أنهـم سَـعُـدوا

وبتجبره ، وبخله ، وبحبسه اياه بين الحرمان فى الاقامة ، والمنع عن الترحل ، حتى كانت الفرصة السانحة للمتنبي ليلة عيد أضحى شغل بها كافور ، ورجاله ، والناس أيضا عن كل شيء الا بمهرجانات العيد ، وأفراحه فانسل المتنبي فى جنح الليل هاربا ، سالكا دروبا وعرة ، مجهولة ، سالما بنفسه ، وعندئذ ، وابتداءاً من مرحلة الهرب هذه ، ابتدأ يسلق « كافور » بما لم تسلق بـه الديكة الروميـة من حرارة وقوة وفوران .

وقصائد المتنبيء هذه فى « كافور » يدوي لها الزمن والاجيـال ، علما بأن « كافور » هذا ، وقد استزله المتنبي الى أسفل الدركات ، كان واحدا من أعلام ثلاثة يختصون بلقب « الاستاذ » لعلو مكانهم فى العلم ، والادب ، والشعر ، والسياسة وهم : الصاحب بن عباد ، وابن العميد ، وقد مدحه المتنبي أيضا و « كافور الاخشيدي » هذا .

أقسمت أنك عملاق به غلق

لا الارض عن سره تنبي ولا اللحد

يدٌ « لفاتك » كانت آلةً رُفعت

وراءها خُبئت من آخرين يد

تبطنتها لتُخفي من ذكاوتها

اسطورةً لم ترق حتى لمن بلدوا

أبا « محسَّد » دنيا رحت تمخضها

فما تلقف الا ما نفى الزبد

أشرف عليها تجدها مثلما تُركت

كأنها من رسوخ مثقل « أُحُد »

أحكمةً ، أم وقارا ، أم مكابرة

لم يدر ذلك الا الواحد الصمد

تَبني وتهدم ما تَبني كما انتقضت

خرقاء يُعكس ما حاكت ويُطَّرد

مشت بها جاهلياتٌ ، وعنجهةٌ

ولات منها النفوسَ الثأرُ والقَوَد

الفٌ مضت و « ابن عباد » بها أحد

واليوم الف « ابن عباد » ولا أحد

وكان ان لم تهبه مدحة حردا

واليوم من نغتلي في مدحه حرد

وكان « كافورُ » فرداً تستقيم له

واليوم شتّى « كوافير » وننفرد

على الهوامشِ أصفارٌ مُجمّدةٌ

كما تراكمَ حول الحافة الجَمد

فذو العقيدة مشتومٌ ومتهم

وذو المواهب محروم ومضطهد

ان يسكتوا يخطف « الخفاش » نورهم

ويسمعون بذاءات اذا انتقدوا

نحن الغريران في دنيا بها صببٌ

في المعطيات بنا عن مثله صُعُد

رغادةٌ وادقاعٌ قسمةٌ ضنك

ضيزى لمن زرعوا فيها ومن حصدوا

حتى انبرينا فجئناها بثالثة

ان الشقاء اذا استعلى هو الرغد

* * *

وقائل لو أرحت الشعر قافية

بها عروقك راحت وهي تفتصد(١٠)

---

(١٠) فى هذه القطعة حتى البيت :

فكل ما وهبوها انها عمرت وبعض ما وهبتهم انهم خلدوا

يشيد الشاعر بعظمة الشعر العمودي « الكلاسيكي » الاصيل وبروعة « القافية » وبعذوبة السجع الموسيقي فيه ، وبأصالة الحرف ، وبناء الكلمة ، تبعا لالتزام الترابط فى البناء وفى الاداء ، وفى مراعاة الانسجام ٠

ويجرد الشاعر ، فى معرض الدفاع عن كل ذلك ، حوارا بينه وبين قائل متسائل ، عما اذا لم يكن من الاروح والاحسن ، لو انه وفر على نفسه عناء القافية ، ومشقة البحر ، والوزن ، وهما مدعاة جهد وتعب تركا طابعهما على وجه الشاعر وعلى ملامحه ، وعلى الغضون المتحفرة فى جبينه ٠ وهو يرد على ذلك ، بأن هذا « الشعر » ما هو مجرد « حرف » تمشي النغم فى طياته ٠ وما هو محض « فكرة » توهجت بخيال ملهم كما يبدو للمرء لاول وهلة ٠

ولكنها ـ وعلى الاقل فكما يراها الشاعر نفسه ـ أكثر من ذلك ، انها ـ القوافى ـ فى حقيقة الامر ، محاريب «مقدسة بتجسيد الايمان، والفكرة ، والمعتقد ، أى ان القافية لشدة تركزها ، وعمق تأملها تكون اطارا مبرزا ٠ ومعبرا ، ومجسدا للفكرة التي يرمي اليها

غطت جبينَك أعراقٌ مغضنةٌ
وطاف في وجنتيك الجُهد والسَهَد
ولو تخلصت من « دال » واخوتها
وراءها راحت « الدالات » تحتشد
أريتُه أن بي من أمرها عجباً
فلا صدودٌ ولا بعدٌ ولا صدد
غرائب ورحاب الارض مُطرَّحٌ
وشردٌ ، وقلوب الخلق مُتسَّد
تدنو وتبعد من تلقاء فطرتها
خلاف ما عودته الانسُ الخُرُد
توقدُ النفسُ اذ تُشتف طلعتها
وتستحيل رمادا حين تفتقد
ويرقص القلبُ في أضلاعه طرباً
بها . وتمشي على مهلٍ وتتئد

الشاعر في كل بيت أو مقطع من أبيات القصيدة ومقاطعها .
ثم يستمر الشاعر فيصف المعاناة الشعرية ، فى معرض وصفه لاوقات سنوح الفكرة ـ مجسدة بالقافية ـ وفى الهيئات التى تظهر بها ، والحالات التي تكون عليها .

حرفا تراها مشى في طيه نغم
وفكرةً بخيال ملهم تقد
بينا أراها محاريبا مقدسة
بها تجسد ايمان ومُعتقَد
عمر النجوم مسافات واقيسة
وعمرُها وهي في ريعانها أبد
لم يجز غر القوافي من لها نذروا
نفوسهم ، وان اشتطوا ، وان جهدوا
فكل ما وهبوها انها عَمُرت
وبعضُ ما وهبتهم انهم خلدوا

* * *

خُبِّرت للنشر في « بغداد » مؤتمرٌ
يزهو ، وان ندي الشعر محتشِد(١١)

---

(١١) فيهذه القطعة تحية الىمؤتمرالادباء، وحوار معالشعرا، والكتاب ، فيه عتاب على تجاهلهم فى كل المؤتمرات التي ساهموا فيها أعواما طويلة زمرة خيرة من أحرار العراق وشعرائه وادبائه ممن شردتهم الطغمة الحاكمة أواخر عام ١٩٦٣ عن وطنهم وأسقطت عنهم جنسياتهم

وان من مشرق الفصحى ومغربها
زهرُ النجوم على الشطين تنتضد
فقلت ليت نديَ الحب يجمعنا
سيان مقترب منه ومبتعد
وليت يلتمّ شملٌ كله كِسَرٌ
وليت ينضم قَصْدٌ كله قِصَد
يا قادةَ الفكر لو لموا صفوفهم
وذادة الشعر لو لم يكثر العدد
وصاغةَ الحرف لو لم يغش رونقه
زيفٌ ، ولم تمش في مخضره عُقَد
تضاءلوا في ملاءات تُخاط لهم
ولو يشاؤون في سُمٍ لها نفدوا
وعقدتهم حزازات ولو خلصوا
أملوا على الدهر ما حلوا ، وما عقدوا

وفيهم من طبقت شهرتهم الآفاق العربية وتجاوزتها .
والشاعر يوضح هذا العتاب المرير أشد توضيح مما يغني عن الشرح الكثير .

أكل عامين يمسي شملنا بددا
ويختمان بأسبوع وينعقد
ونستدير الى عامين بعدهما
والشمل منا ، ومما نرتأي بدد
ما أن نبالي بأن نُرضي به أحدا
ولا يبالي بأن نَرضى به أحد

* * *

ويا جديرين بالحسنى مطارحة
في كل ما انتقَدوا منها ، وما انتُقدوا
لا تغضبوا ان في عتب محاورة
وان في القول اصدارا لمن يرد
سبع رمتنا ولم نجرم بقارعة
كاننا من رعيل مجرم طَرد
وخلفنا من أحاسيس وأفئدة
عطشى ملايين لا تُسقى ولا ترد

تدعوكم أن تذبوا عنهم جنفا
يا مسرفين ، وان بالحرف يُقتَصد
فما استدار فمٌ منكم ولا قلمٌ
ولا تقطر من بحر الندى ثمد
سبع عجاف ، وقد كن السمانَ لكم
فيها اللها واللهى ، والجاه ، والرغد
على الموائد أكوابا وأطعمة
من شاء يحترّ أو من شاء يبترد

* * *

وصاحبٍ ليَ لم أبخسه موهبة
وان مشت بعتاب بيننا بُرَد(١٢)

---

(١٢) فى هذا المورد حتى البيت :

بيني وبينك أجيال محكمة على ضمائرها فى الحكم تعتمد

يغمز الشاعر من عود أديب عربي معروف شارك فى مؤتمر الادباء هذا ، وألقى فيه كلمة اتهم فيه شيوخ الشعر الراسخين ، وتزلف الى الشباب والناشئين • ولو أن هذا القول ـ على سذاجته وعفويته ـ كان بريئاً لهان الامر • ولكن الامر على العكس • والى هذا المعنى

نفى عن الشعر أشياخا واكهلة
يزجي بذاك يراعا حبره الحَرَد
كأنما هو في تصنيفهم حكمٌ
وقوله الفصلُ ميثاق ومستند
وما أراد سوى شيخ بمفرده
لكنه خاف منه حين يَنفرد
مهلا رويدك لا تُبعدك موجدة
عن السبيل سواء نهجها جَدَد

يشير السيد الجواهري بقوله : « يزجي بذاك يراعاً حبره الحرد ..» وبقوله :

وما أراد سوى شيخ بمفرده لكنه خاف منه حين ينفرد

أي ان الاديب العربي المذكور عندما نفى الشاعرية عن شيوخه ، لم ينتصب أمامه الا شيخ واحد ليس الا . وهو الجواهري نفسه . وذلك بحكم كونه الوحيد الذي يشار اليه ، في هذا المجال ، بوصفه أبرز الشعراء الكلاسيكيين الشيوخ .

أما عدم براءة هذا الحكم . والتي عناها الشاعر بقوله :

وان مشت بعتاب بيننا برد .. »

فلها حكاية يمتد تاريخها الى ما قبل ثلاث سنوات على وجه التقريب ، عندما كان الشاعر في منفاه .

بيني وبينك أجيالٌ محكمة
على ضمائرها في الحكم يُعتمد
قالوا أتتك حريفاتٌ بملأمة
فقلت : ألفُ كريم قبلها يفد
أسلمتُها لعيونِ الناس تخزرها
خزرَ الصقور فتستثني وتَرتعد
تطاولَ القاعُ حتى استقعرت قممٌ
واستأسدالغيُ حتى استنوق الرَشَد
واستنفر البائعون الروح شاريها
فهم لكل يد مجذومة عضد
في الشعر من فرط ما احتكوا به دَبَر
كما تأكل عظم الناقة القَتَد(١٣)

---

(١٣) « القتد » وجمعه أقتاد وقتود خشب الرحل يكون على ظهر الناقة . والضرباء أو الظربان وجمعه ظرابي بتشديد الياء ، وظرابين دويبة بحجم « ابن عرس » تعيش فى الاجحار ، ولها رائحة شديدة النتونة وفى المثل العربي : ـ فسا بينهم الظربان ـ أى تنافروا وتباغضوا . و « القرد » و « القردان » جمع قردة و « قراد » دويبة صغيرة من

تشكّت « الضاد » مما يُنزلون بها
كما اشتكى الجسم مما تُفرز «الغُدَد»
في لفظه ظرباء من تقيحه
وفي معانيه من أنفاسهم قَرَد
نجوا بزعمهم من اسر قافية
والشعر لولا أسار نثرةٌ قِدَد
ان الجمال « اسارٌ » عزّ مطّلبا
هل يحزن الغيد أن قد اسرف الغَيَد
أم يفرحُ الظبىَ ان لا يُزدهى حَوَر
في مقلتيه ولا في جيده جَيَد

فصيلة « القمل » تتعلق بالمواطن الحساسة من « البعير » والكلب ونحوهما ·

والمقصود هنا فى البيتين التعريض بالشعر المنحل الركيك الذى يتعاطاه نفر من المتشاعرين بدون عناية بأسلوبه ، ولا رعاية لمضمونه، ولا التزام بسجعه ونغمه ، وبدون رصيد سمين من التراث العربي الاصيل · وانه لفرط ما يجار على تراكيبه ، ولشدة ما يأكل لفظه المتكلف ، من معانيه الهزيلة ، ليشبه ظهر الناقة المتأكل من فرط ما يعض القتد على عظامه ، وانه ليبدو وكأن فيه « ظربانا » يفسد من نفسه و « قرادا » يمتص من دمه وروحه ·

وحاشدين خشار القول بعتُهم
بخسا ، وأبخسُ منهم كان ما حشدوا(١٤)
الخاملون اذا استنهضتهم غضبوا
والضالعون اذا قومتهم حَقدوا
والمستطيرون غربانا مفزعة
حتى اذا عنَّ صداح فهم حُشُد
والمطعمون سعير الحقد لحمهم
لا بارح العظم ذاك الحقد والحسد
والمجهزون على الجرحى كأنهم
رُبدُ الذئاب اشتفت أن جُرّح الاسد
يغيظهم أنّ في يافوخه شمما
وأن تناثر عن اكتافه اللَبَد
وانه وهموم الغاب تثقله
لا كاهل خان متنيه ولا كتد

* * *

(١٤) « خشار القول » : فضلته والردىء منه .

يا شاتميّ وفي كفي غلاصمهم
كموسع الليث شتما وهو يُزدَرد
وعاضضيّ وفي أفواههم شلل
ارخى الشفاه ، وفي أسنانهم دَرَد
اتلطمون جبينَ الشمس أن قذيت
عيونكم فبها من ضوئها رمد
أم تفرغون مياه البحر أن نضبت
حياضكم فهي نزر ، موحل ، صرد
يا بن « الركائك » والايام هازئة
بميتين على ما استفرغوا جَمَدوا(١٥)

---

(١٥) الركائك « جمع ركيكة ، ويراد بها هنا السفساف الركيك من الشعر، والنسبة اليه زيادة فى الانتقاص من المنسوب ، والخطاب يجوز أن يكون الى متشاعر معين بذاته . كما يجوز أن يكون مقصودا به كل واحد من هؤلاء المتشاعرين على حدة .

والقطعة حتى البيت :

ما ضر من آمنت دنيا بفكرته ان ضيف صفر الى أصفار من جحدوا

تنديد فى معرض الدفاع ـ بنفر من أدعياء الشعر والادب ، تعرضوا للسيد الجواهري فى الآونة الاخيرة ، وتهجموا عليه تطاولا واعتداء .

ما ضرّ من آمنت دنيا بفكرته

ان ضيف صفر الى أصفار من جحدوا

* * *

ويا فتى المغرب الاقصى به نُذُر

للشرق ، لا زيغ فيها ولا أود(١٦)

---

(١٦) المراد بـ « فتى المغرب » مندوب المملكة المغربية الى مؤتمر الادباء ببغداد ، وكان قد القى كلمة قيمة لاقت استحسانا واعجابا حمل فيها على كتاب « المشرق العربي » فيما يتهمون به « المغرب » جهلا وظلما ، بتقاعسه عن معركة المصير فى فلسطين ، وعن التجاوب مع الاصداء العربية فيها • وقد دافع السيد « المغربي » دفاعا مجيدا عن الشعب العربي فى المغرب • وبخاصة عن مفكريه وطلائع الحركات الفكرية فيه • ونسب الاحكام الجائرة التي يطلقها الكتاب والصحفيون فى المشرق الى الارتجال ، والجهل ، والتسرع • والشاعر فى هذه القطعة ينتصر فيها للمغاربة ويقول للاديب المغربي مهونا عليه : ان ما ينقم منه ، من كل ذلك ، يبتلى به ادباء المشرق العربي فيما بينهم أنفسهم ، فهم مرمى للمطاعن ، وغرض لسهام الشتائم ، وموطن للتجالد والتعارك والتطاحن وفى البيتين :

يا بن « المغارب فى أعماقنا بشر

اسيان ، غرثان ، خب ، ناهز ، حرد

من كل « موءودة » لون كأن بنا

مستنقعا عفنا من فرط مائده

يكني الشاعر بهذا « البشر » السيء ، الخبيث ، الكامن فى أعماق المجتمع العربي عن العقد النفسية العديدة ، والضارة المتراكمة على

سمعتُ صرختك الغضبى فخلتُ بها
ما يبعث الغاب اذ يُستزأر الاسد
تنعى علينا بأنا في عواطفنا
على الاظانين ، والتشكيك نعتمد
وان أحكامنا فيما نشطّ بها
بتراء ، لا نصف فيها ، ولا سَدد
هون عليك ففيما بيننا أبدا ،
نحن المشارقَ ، نستضري ، ونَجتلد
يا بن المغارب في أعماقنا بشرٌ
أسيان ، غرثان ، خب ، ناهز ، حرد
عن كل موؤدة لونٌ .. كأن بنا
مستنقعا عفنا من فرط ما نئد

النفوس ، والتي يبقى أثرها فى كل تصرفات الافراد والجماعات ، ويقول انها مردودة ، فى الحقيقة ، الى كبت الاحاسيس ، والمشاعر ، جراء فقدان الحريات الشخصية ، والاجتماعية ، وبسبب من شيوع الحرمان ، وتأصل الحزازات ، وسيطرة القسوة ، والعنف ، والاثرة ، ومن وراء ذلك ضياع المقاييس ، وتهاوى الموازين .

يا بن المغـــارب : مثل النجم متقـــدا
يُرى مشعون انّى استوطنوا اتقـدوا
لا يُبعـــدُ النـأي عـن حب أحبتـــه
ضـوء العيـون لصيقٌ وهـو يبتعـد

* * *

دعوا الى الوحدة الكبرى فقلت لهم :
نـذرٌ لذلك مني الـروح والجســـد(١٧)

---

(١٧) فى هذا المورد حتى تمام القصيدة استعراض شامل للمرحلة الشاقة التي تلف العالم العربي بأجمعه ، وعلاقة كل ذلك «بالوحدة الكبرى» التي تغفو وتستيقظ ، ثم تغفو أيضا بين الآونة والآونـة ، وبـين البواعث والبواعِث ، واشارة الى فقدان هذه الوحدة التى ينذرالشاعر لها روحه ، وجسده ، ويناغيها منذ خمسين عاما ، ركائزها الاصيلة ، ومقوماتها الضرورية ، وأهمها تجاوب الشعوب العربية معها تجاوبا ينبعث من أعماق وعيها من جهة ، ويستند الى تعاطفها جماهيريا ، جذريا ، وليس تعاطفا ، دعائيا ، واعلاميا محدودا ، وعلى صعيـد رسمي ضيق . ويرد ذلك كله ، الى أنظمة دمقراطية سمحة وأصيلة يكون قوامها الجماهير « المسودين » فى كل ما يردونه ، وفى كل ما يصدرون عنه ، وليس ارادة الحاكمين « السادات » .

ثم يستمر الشاعر فى تعداد مهام هذه الوحدة المنشودة ، بوصفها وحدة صادقة ، ومكينة الجذور ، وفى قدرتها المتوقعـة على صـد ما يحاك للوطن العربي الاكبر من مؤامرات ، وما يفتح له من جبهات، وما يخطط له من مصائر ، ولا يفوت الشاعر ان يذكر « المغالين » فى

خمسين ظلتُ اناغيها كما نغمت

ام الوليد يناغى عندها الولد

ولا مباهاة أهلي كلهم رضعوا

منها اللبان ، وفي أحشائها لحدوا

فان سألت فعن شوق لموعدها

كعاطش يبتغي وردا فلا يجد

هاتوا بها علّ أن يُستصلح الجسد

فقد تقطع عن انياطه الكبد

ففي فلسطين خيل الرجس مُحكمة

رباطها وبيت « المقدس » الوتد

وقد أطالت سياط البغي جلدتها

يُشوى بها جلد أحرار وتُعتَبد

استعمال هذه الوحدة ، وفى قيامها للمرة الثالثة ، بارتجال وعفوية ، واندفاع ، بما كان لهم ولغيرهم من تجارب مريرة بشأنها فى أمس قريب ، وقبله فى أمس الاول منه كان حصادها « شوكا » عن زهر ، وكان نتاجها « حنظلا » عن شهد !!

وفي الخليج أساطيل مداخنها
طلعُ الشياطين علّى ريث يُحتصد
تقيء حقدا على واعين تحذرهم
يحدون صرخة ايقاظ بمن رقدوا
ما أتعس الجار لا يعطي بضائقة
حسن الكفاف اذا لم يُحسَن الرفد

* * *

هاتوا بها علّ دوحا جف يرتعد
وعلّ شوكة ذل فيه تُختضد
وعل عار « حزيران » ووحشته
ترفضّ عنها الليالي الحلّكُ الرُبُد
في كل دار بما يُستام ساكنها
على الجباه غبار الموت منعقد
يَستوحشون مِن الارض التى نزلوا
ويَخجلون من الماء الذي وردوا

تلمس الا صعدُ الشماخ عن انف
عرنينه ونبا بالاصيد الصيَدِ

فليس للعربي اليوم من وطن
ما ظل غاوون عن أوطانهم طردوا

هاتوا بها علّ في فدي مشاركة
لا يفتدى غيّبٌ عنه بمن شهدوا

وعلّ فيض الدم الخلاق مكتسح
يلف من رغبوا فيه بمن زهدوا

ذُم التسرف الا فى دم سرِب
يحمي الحمى ، مُستذم فيه مقتصد

* * *

هاتوا بها علّها تُحدى بأنظمة
على المسودين لا السادات تعتمد

فما يزال على الاحرار في بلد
وآخر ، وعلى أنفاسهم رصد

على الحدود أضابير لمن صلحوا
من ثائرين على ظلم ، ومن فسدوا
نُذاد عن وطن عشنا مصائره
كما تُذاد عن « المزروعة » النَقَد
أقول للقوم غالوا فى رغائبهم
حتى تخالط جِدّ منهم ودد
نصح لكم محضه حلوا ـ وخالصة
لي المرارةُ ـ منه العذل والفند
لا تقبسوا جمرة العجلان واتئدوا
فطالما سبق العجلانَ مُتئِد
ولا تملوا فما اليوم العتيد لكم
بوعد صدق اذا لم يصدق العَتَد
بالامس اذ أجهضت سقطا ولادتُه
والامس كالغد مرهون بما يلد
جربتموها فأجلى الشوكَ عن زهرٍ
نتاجها وأجر الحنظل الشَهَد

وذاك ان لم يكن فيما يراد بها
على الجماهير من أمر فم ويد
بل وازدرى المؤمنون الوعد منتجزاً
صدوقه فرط ما غُروا بما وُعدوا
جيل « تمدد » مهزوما وقد وُعدت
بالنصر خمسا وعشرينا به المُدَد
جيل يُمطط بالبلوى فأصبية
به شباب وكهال به قُعَد

* * *

قبل التوحد قد يُلوى به الامد
دعوا الجيوش بخيل الله تتحد
من كل بيت خذوا مستبسلا بطلا
وجندوه يتيه زهوا به العدد
وأركبوهم طريق النصر خافقة
أعلامه وفسيحات بها النُجد

على الحدود أصابيع لن تحتمل

من شر أهل لهم ، ومن فسدوا

تسداد عن وطني معاشرة

وما هداهم الى الأرومة ، المقتصد

أقول للقوم قالوا في رقابهم

جرى بحبالك ... ومدد

نصح لكم محضته حقا ... ولكن

في المرارة ، مثله العدل والقصد

لا تحسبوا حسرة الجلاد واشتدوا

فقدانا ... العشاق ...

ولا تملوا ... اليوم ... كلهم

يرعيه حفظ اذا لم يصدق العقد

بالأمس اذ أجهضت ... ولد

والأمس كانت ... يختزن ... البلد

جرت شعوبها جانبي الشوك عن زهر

ناجيا وأخر المقتل الشهد

يا دجلة الخير

نظمت شتاء عام ١٩٦٢ ، وكان الشاعر يمر بأزمة نفسية حادة ، اثر اضطراره الى مغادرة العراق هو وعائلته ، والاقامة فى مغتربه فى جيكوسلوفاكيا ، وكان ذلك فى صيف عام ١٩٦١ .

حَيّيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحَيِّيني
يا دجلةَ الخيرِ ، يا أُمَّ البساتين
حييتُ سفحكِ ظمآناً أَلوذُ به
لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطين
يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أُفارقُه
على الكراهةِ بين الحينِ والحين
انّي وردتُ عيون الماءِ صافيةً
نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني
وأنتَ يا قارَباً تلوي الرياحُ به
لَيَّ النسائمِ أطرافَ الأفانين
وددتُ ذاكَ الشِراعَ الرخْصَ لو كفني
يُحاكُ منه غَداةَ البينُ يَطويني(١)

---

(١) الرخص : اللين والناعم . والافانين جمع لجمع فنن أما جمعه فأفنان وهي الاغصان .
ومعنى القطعة حتى البيت :
تهزني فأجاريها فتدفعني كالريح تعجل فى دفع الطواحين
ان الشاعر ـ وقد أضرت به الغربة واشتد به الحنين الى العراق ـ

يا دجلةَ الخيرِ : قد هانت مطامحُنا
حتى لأدنى طَماحٍ غيرُ مضمون
أتظمنين مَقيلاً لي سَواسِيةً
بين الحشائشِ أو بين الرياحين ؟
خُلُّواً مِنْ الهمِّ الاهمَّ خافقةٍ
بين الجوانحِ أعنيها وتَعنيني
تَهزُني فأُجاريها فتدفعُني
كالريح تُعجِل في دفع الطواحين

* * *

يجد مجرد العودة الى وطنه أشد وأغلى مطمح يطمح اليه ، وان هذا المطمح نفسه غير مضمون ، وهو لذلك يتمنى أن يكفل له مقيل بين الحشائش على ضفاف « دجلة » ان لم يتيسر له مقيل بين الرياحين عليها .

كما يتمنى أن يكون ذلك خلوا من كل هم وشاغل من هموم الدنيا وشواغلها ، سوى شاغل واحد لا يقدر أن يتخلص منه ، وكأنما هو جزء خليص من نفسه ، هو هذه الاحاسيس التي تعتمل بين جانبيه وتخفق فى جوانحه فهي بذلك تعنيه قدر ما هو يعنيها .

وهذه الهواجس ، والاحاسيس ، والعواطف ـ وهي ضلب الكيان الشعري ـ لا تبرح تهزه هزا لا يقدر معه الا أن يجاريها ، والا أن يندفع معها ، تماما كما تعجل الرياح فى دفع الطواحين الهوائية .

يا دجلةَ الخيرِ : يا أطيافَ ساحرةٍ
يـا خمرَ خابيـةٍ في ظـلِّ عُرجونِ[٢]

يا سكتةَ الموتِ ، يا إعصارَ زوبعـةٍ
يا خنجرَ الغدرِ ، يا أغصـانَ زيتونِ

يا أمَّ بغداد ، من ظَرفٍ ، ومن غَنَجٍ
مشى التبغـدُدُ حتى في الـدهـاقينِ[٣]

يـا أمَّ تلك التي مـن ألف ليلتهـا
لـلآنَ يعبقُ عِـطرٌ في التلاحـين

---

(٢) « الخابية » : وعاء من الفخار يعتق فيه الشراب . و « العرجون » كزنبور عذق النخل اذا يبس واعوج .

(٣) « التبغدد » وبابه من « تفعل » : تكلف عادات أهل بغداد ، وأخلاقهم، وطراز معائشهم ، وطرق الحياة ، والتعامل ، والتخاطب . وقـد انتشر « التبغدد » فى معظم أرجاء العالم أبان العصـور العباسيـة الاولى ، وفى أيام رفعة العالم الاسلامي والعربي وعظمته ، وامتداد نفوذه وسلطانه ، أخذا بالظرف واللطف البغدادي ـ عاصمة الدنيـا الاولى آنذاك ـ وتعاطيا لأساليبها ، وأزيائها ، وتأنقها .

و « الدهاقين » جمع دهقان بالكسر وبالضم : رؤساء القرى والمدن المتنفذون وهي فارسية معربة ، والاسم فيها « دهقنة » ، والتفعيل « التدهقن » .

يا مُستَجمَ «النواسيّ» الذى لبَستْ
به الحضارةُ ثوباً وشيَ « هارون »(٤)
الغاسلِ الهمَّ في ثَغرٍ ، وفي حَبَبٍ
والمُلبسِ العقلَ أزياءَ المجانين
والساحب الزُقَّ يأباه ويُكرِهُه
والمُنْفِقِ اليومَ يُفدى بالثلاثين(٥)
والراهنِ السابِرىَّ الخزَّ في قدحٍ
والملهِم الفنَّ من لهوٍ أفانين(٦)

---

(٤) النواسي : هو أبو نؤاس شاعر العراق الاول فى بواكير العهد العباسي الزاهر على عهد هارون الرشيد وولديه الامين والمأمون والى ذلك الاشارة فى بقية البيت .

(٥) الشطر الاول من البيت اشارة الى قول أبي نؤاس من قصيدة له :

قدأسحب«الزق»يأباني وأكرهه حتى له فى أديم الارض اخدود

والشطر الثاني الى قوله من قصيدة اخرى :

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها «شهرا»

(٦) فى هذا البيت اشارة الى قوله من قصيدة له وقد رهن ثيابه الثمينة كلها ومن جملتها خلع خلفاء العباسيين عليه :

وبعت قميصا سابريا وجبة وبعت رداءً معلم الطرفين
ثلاثين دينارا جيادا ذخرتها فأفنيتها حتى شربت بدين

والمُسْمِعِ الدهرَ، والدنيا، وساكنَها

قرْعَ النواقيسِ في عيدِ الشعانين(٧)

* * *

يا دجلة الخير : ما يُغليك من حنَقٍ

يُغلي فؤادي، وما يُشجيك يشجيني(٨)

---

(٧) عيد الشعانين : من أعياد النصارى المشهورة • ولأبي نؤاس فيه ، وفي الاديرة بوجه أعم ، أشعار حلوة ، واشارات رقيقة •

(٨) فى هذه القطعة حتى البيت :

والصبر ما انفك مرداة لمحترب ومستميت ، ومنجاة لمسكين

يناجي الشاعر « دجلة الخير » ويطارحها ، ويستثيرها أيضا فهو يقول لها : انه يعلم ويلم بكل ما يغليها ، ويحزنها ويفجرها • ان سياط البغي والبطش بالناس تنقع وترطب فى مياهها الطاهرة ، وخيول العدوان والبطش تلغ ـ وكأنها الكلاب العاوية ـ فيها ، لتغير على القرى والمدن الآمنة •

وانه يدري بكل ما تطفح به مساربها ، ومجاريها من بؤس وألم ، وتمزق • وانه ليكاد يحس حتى ما تتفجر عنه أنغامها السمر ـ أى أنغام مياهها السمر ـ وكأنها أنات المحزونين من أبناء العراق المنتشرين على ضفافها • أو ـ على وجه ثان ـ ما تتفجر به من من نغم حزين تألما ومشاركة لاحزان هؤلاء •

وانها ـ وبالرغم من كر الدهور واختلاف العصور ، وتبدل الانظمة، فأنها ـ دجلة ـ تبتلي بحكم السلاطين المستبدين وتهزأ بهم وبحكمهم أيضا • وان أرواح الفراعين الطغاة ، ما زالت ترفرف على سماء الشرق العربي كله بعامة ، وكأنها تتفلت من توابيتها ونواويسها •

ما إنْ تزالُ سِياطُ البغي ناقعةً
في مائك الطُهْرِ بين الحِين والحين

وانها تهزأ وتسخر من التناقض والتباين الصارخ فيما ينشر على ضفافها من خصب الجنات ، والحقول ، والمزارع ، ومن بؤس الملايين الكادحين المأجورين فيها لحساب المستغلين ٠

وفى الابيات الستة الاخيرة من القطعة يرسم الشاعر صورة اخرى جديدة لطبقة منافقة ، منتهزة ، جبانة فى العراق ٠ وان « دجلة الخير » تهزأ بها فى جملة ما تهزأ به من صور ، ووقائع ، وكيانات ٠ فهم عتقاء يوم المعارك والملاحم ، أى أنهم ممن يؤسرون لجبنهم ثم يعتقون أمنا من مغبتهم ، وركونا الى ضعفهم وعجزهم ٠ وانهم الضارعون المستكينون للصدف ، وللظروف ، وللاقدار ، وكأنهم « ذو النون » النبي **اذ تلقفه وهو يسبح فى البحر** حوت ضخم فابتلعه فظل فى جوفه أعواماً طويلة يدعو الله فى السماء لخلاصه ٠ وانهم ـ هؤلاء المرائون المغالطون ـ وهم يرون الواقع المر الأسود بأمهات عيونهم ومع هذا فانهم يفزعون منه الى الحدوس والتأويلات ، والتبريرات ، خوفاً من مواجهته ، وانهم يفضلون ـ اذ هم يدعون التضحيات ـ أن تجدع انوفهم ، ولا « تجدع الازمات ، والشدائد شيئا من أموالهم وأملاكهم فزعا من الفقر وحرصا على الترف والبذخ، وانهم يلجأون الى الاستكانة فى ذروة المحن مفلسفين ذلك بادعاء ضرورة الصبر ، والتأني ، والتعقل ، وكل هذه حبال موهونة ، ركيكة فى عرف النضال الثوري ٠

ويزيد الشاعر فى توضيح ركاكة الصبر المدعي بقوله : انه شىء يلائم المساكين لجبنهم ، ونفاقهم ورياءهم ، ذلك لأنه مدعاة سلامة لهم ، بينا هو بغيض منفور لدى المناضلين الشجعان والمستميتين حتى لكأنه مرداة وهلاك لهم ٠

ووالغاتٌ خيولُ البغي مُصْبِحةً
على القُرى آمناتٍ والدهاقين
يا دجلة الخير : أدري بالذي طفحت
به مجاريك من فوقٍ الى دُون
أدري على أيِّ قيثارٍ قد انفجرت
أنغامُك السُمر عن أنّاتِ محزون
أدري بأنكِ منْ الفٍ مضتْ هَدَراً
للانَ تَهْزينَ من حُكم السلاطين
تَهزين أنْ لم تزلْ في الشرق شاردةً
من النواويسِ أرواحُ الفراعين
تهزينَ من خِصْبِ جنّاتٍ منشَّرةٍ
على الضفافِ، ومن بؤس الملايين
تهزين من عُتقاءٍ يوم مَلحمةٍ
أضفوا دروعَ مَطاعيمٍ مَطاعين
الضارعينَ لأقْدار تحِلُّ بهم
كما تلوَّى ببطن الحُوتِ ذُو النون

يرون سُوْدَ الرزايا في حقيقتها

ويفزعون الى حَدسٍ وتخمين

والخائفينَ اجتداعَ الفقرِ ما لَهمُ

والمُفضِلينَ عليه جَدْعَ عِرنين

واللائذينَ بدعوى الصبر مجبنةً

مُستَعصِمينَ بحبلٍ منه مَوهون

والصبرُ ما انفكَّ مرداةً لمُحترِبٍ

ومستميت ، ومنجاةً لمسكين

* * *

يا دجلةَ الخير : والدنيا مُفارقةٌ

وأىُّ شرٍّ بخيرٍ غيرُ مقرون(٩)

---

(٩) فى هذه القطعة بأبياتها الخمسة توضيح لفلسفة الخير والشر وتلازمهما . فلا شر الا ومعه خير ، ولا خير مأمون من شر ، حتى طهر الملائك نفسه مقارنا برجس الشياطين ليبدو وكأنه نتيجة منطقية له .

ويتمثل الشاعر فى معرض أوضاع الوطن العراقي بالذات تمازج الخير والشر أيضا ، فيقول ان ردود الفعل المتوقعة لما فيها من تدن وشرور ، وظلم ، وألم ، واغتصاب ، واضطهاد ، وما عداها من شرور ، ستكون خيرا عن ضير ، وحسنا عن قبح ، وفجرا عن ضلالة ،

وأيُّ خــيرٍ بــلا شــرٍّ يُلَقِّحــه

طهرُ الملائـكِ مِنْ رجس الشياطـين

يا دجلة الخير: كم مِنْ كنزِ موهَبَةٍ

لديك في « القمقم » المسحورِ مخزون

لعلَّ تلك العفاريتَ التي احتُجِزتْ

مُحَمَّلاتٌ على أكتاف « دلفين »

لعلَّ يوماً عصوفاً جارفاً عَرِماً

آتٍ فتُرضيك عقباه وترضيني

* * *

وان هناك من المواهب المكبوتة ، والقابليات المتحفزة ، والتفجرات المتوقعة ، وكأنها ما تنطوي عليه « القماقم » المسحورة فى قعر البحار والشطوط . وفى « دجلة الخير » نفسها ، ما يصح أن يكون ـ وهو خير ـ وليد تلك الشرور الطاغية ، قدر ما انه عاصف بها ، مدمر لها ، طائح بأركانها .

وان هذه المواهب العاصفة ، التى هي عفاريت مسحورة فى «قماقم» مدخورة ، ستقذف بها موجات الثورات ، والانتفاضات ،كما تقذف « الدلافين » فى عرض البحار بالغارقين ، والضائعين فى أمواجها الى شواطىء السلامة و«الدلفين» حيوان بحري ضخم" تنسج حوله الاساطير فى قدرته الفائقة من جهة ، وفى حبه الخير والنجدة من جهة اخرى .

يا دجلةَ الخيرِ : إن الشعرَ هدْهدةٌ

للسمع ما بين ترخيمٍ وتنوين(١٠)

عفواً يُردِّد في رَفْهٍ وفي عَلَلٍ ..

لحنَ الحياة رخيّاً غيرَ مَلحون

يا دجلةَ الخير: كان الشعرُ مُذْ رَسمتْ

كفُ الطبيعةِ لوحاً ، سِفْرَ تكوين

مزمارُ « داودَ » أقوى من نبوّته

فحوىً ، وأبلغُ منها في التضامين

يا دجلةَ الخير : لم نُصحب لمسكنةٍ

لكن لنلمسُ أوجاعَ المساكين(١١)

---

(١٠) الهدهدة مناغاة الطفل لينام ، وهي أيضا ترجيع الطائر لهديله وغنائه ، والترخيم ـ وهو من رخامة الصوت ـ والتنوين وهو تقريب الحركة على الحرف الاخير من الكلمة الى « النون » ـ من المصطلحات فى النحو والصرف العربيين ، ومن ملطفات « الكلمة » فيه .

العفو خيار الشيء ، وأطيبه ، واصفاه . والرفة والرفيه ـ من الرفاهة والرفاهية ـ فى شرب الماء أخذك اياه على مهل وهون . ومثله « العلل » وهو من التعلل والتمهل .

(١١) اصحب تابع وطاوع . والقطعة حتى البيت :

دين لزام ، ومحسود بنعمته من راح منهم خليصا غير مديون

هذي الخلائقُ أسفارٌ مجسَّدةٌ

المُلهمون عليها كالعناوين

تصوير لروعة الشعر اذ يستكمل عناصره الاصيلة من السماحة ، والاشراق ، حتى ليشبه الهدهدة فى نغمه ، والترخيم والتنوين فى مخارج حروفه ، وصفاء ديباجته ، ولطف ايقاعه ، وعفوية الاداء فيه . وتبيين انه منذ الازل ، ومنذ أن رسمت كف الطبيعة أول لوحة من ألواحها بمثابة سفر تكوين تفتتح به الحياة ، وتتعاطف فيه الكائنات .

وان مزمار النبي داود – ذو المزامير – كان دليلا خالدا ، وعنوانا أبديا على تبريز الهامه ، والتعريف بنبوته ، حتى لهو أقوى من كل مظاهرها ، فى فحوى ما يؤديه ويلهمه ، وأبلغ منها فى مضمون ما ينطوي عليه .

ويخرج الشاعر من ذلك الى التلميح : بأن الشعراء الموهوبين « الاصيلين » تجسيد أصيل لما يعتمل فى صدورهم من خلجات وأحاسيس وفى نفوسهم من تجاوب مع الحياة ومن تعاطف على الخير، وانهم اذ يبدون وكأنهم هينون لينون ، فليس مرد ذلك الى ضعف أو مسكنة وانما هو من تأثرهم بأوجاع المساكين المظلومين ، ومن تلمسهم أوجاعهم .

والا فهم اذ يحسن تصنيفهم بمثابة العناوين على كل الخلائق اذ هي بمثابة الاسفار والمؤلفات مجسدة تمشى على قدم ، وان هؤلاء الشعراء الملهمين لتشع فى ضمائرهم – عند حلك الخطوب – أضواء الحروف الخيرة وكأنها سراج ينير درب البائسين ، ويبدد الظلام عن أطرافهم .

وان ذلك ليس منة منهم على الآخرين ولكنه « دين لزام » فى أعناقهم ، والسعيد منهم من قضى نحبه وهو براء فى ذمته ، خليص من دينه هذا .

اذا دجا الخطب ُشعَّت في ضمائرهم

أضـواء حرف ٍ بليل البؤس مرهـون

دَيـن ٌ لـِزام ٌ ، ومحسـود ٌ بنعمتـه

من راح منهم خَليصـاً غَـير مديون

* * *

يـا دجلـة الخير : ما أبقيت ُ جاز ِيـة ً

لم أقض ِ عندى منها دَيْن َ مديـون (١٢)

ما كنت ُ في مَشْهد ٍ يَعنيك متَّهمـاً

خِبّاً ، ومـا كنت ُ في غيب بظنِّـين

و كان جر حـك ِ الهامي مشار َكـة

و كـان يأخذ ُ من جُرحي ويـُعطيني

---

(١٢) فى هذه القطعة حتى البيت :

وحمليه بحيث الثلج يغمرني دفء «الكوانين» أو عطر «التشارين»

استمرار للقطعة السابقة فى معرض مناجاة الشاعر لدجلة الخير وتأكيده انه كان وفيا لها ، براً بها سواء ذلك فى مشهد منها ، أو فى مغيب عنها . وانه كان يتعاطى واياها جرحيهما مشاركة ومقاسمة ، وان جرحها كان الهاما له ، وانه كان يمد هذا الجرح بمثله فكانت تتقبله منه ، لتهبه بدلا منه باعثا على القول ، وحافزا ملهما للتفجر من جديد .

وكان ساحُكِ من ساحي اذا نزلت

بـه الشـدائـد ، أقـريـه ويَقريني

حتى الضفادعُ في سفحيكِ سَارِيةً

عاطيتُهـا فاتنـاتٍ حبَّ مفتـون(١٣)

غازلتُهـنَّ خليعـاتٍ وانْ لبسـت

من الطحـالب مزهـوَّ الفسـاتين(١٤)

(١٣و١٤) وهذان البيتان اشارة وتلميح الى القطعة الشعرية من قصيدته « المقصورة » الشهيرة التى يصف فيها مرح الضفادع فى شواطىء دجلة متغزلا بها ، معجبا بألاعيبها • ونحن نورد هذه القطعة امتاعا للقراء ، واتماماً للفائدة :

سـلام عـلى جاعلات النقيق ... على الشاطئين بريد الهـوى

لعنتن من صبيـة لا تشيـخ ... ومن شيخة دهرها تصطبى

تقافز كالجن بين الصخـور ... وتندس تحت مهيل النقـا

حلفت بمن راءكن الحيـاة ... سمحـاء أبدع مـا تـرتـأى

والبسكن جمـال الغـديـر ... من صاف منكن أو من شتا

لانتن من واهبـات البيـان ... جمـالا ومن محييـات اللغى

عـلى انهـا لغـة ثـرة ... عواطفكـن بهـا تمتـرى

لقـد عابكن بمـا لا يعـاب ... فـدم بخلـق جميـل زرى

بسمح ينـادم ركب الخلـود ... ويحسـن للخاطبـين القـرى

يـدل عـلى المـاء من ضلـه ... ويرفع وحشة ليل طخـا

كـأن بعينيـك ياقـوتتين ... صاغهمـا جوهرىّ جـلا

ولـو لم يخبر بريق النبوغ ... بعينك عن مثل سفع الذكا

لنـم الجحـوظ عـلى شاعر ... بعيد الخيـال عنيف الرؤى

يا دجلة الخير : هلاَّ بعضُ عارفَـــة

تُسـدي اليَّ على بُعـــدٍ فتجزيني

يــا دجلــة الخــير : منِّيني بعــاطفــة

وألْهِمينــي سُلــواناً يُسلِّينــي

يا دجلةَ الخيرِ : خلِّي الموجَ مُرتفقاً

طيفــاً يمرُّ وانِ بعضَ الأحــايــين

وحمِّليــه بحيــث الثلــج يغمــرنــي

دفءَ «الكوانين» ، أوعطرَ «التشارين»

* * *

يا دجلةَ الخــير : يا من ظلَّ طائفُهــا

عن كل ما جلْت الأحلام يُلهينــي (١٥)

(١٥) فى هذه القطعة وصف قوى حاد للاطياف المرعبة التى كانت تضغط على السيد الجواهري فى نومه فى السنة الاولى من تغربه عن العراق وكأنها الكوابيس . فهو فى الصورة الموحشة الاولى منها : يستيقظ مرعوبا من طيف كان يتحرق فيه بأتون ، ولشدة تركز هذا الكابوس وتمكنه فانه لا يصدق ـ وهو يقظان ـ انه نجا من هذا الاتون حتى انه ليجس أطرافه بكلتا يديه تأكدا من انها لم تحترق .

وفى الصورة الثانية : فانه يستريح ـ يقظانا ـ الى كوب من مــاء

لـو تعـلمـين بـأطيـافي ووحشتـهـا

ووددت مثلي لو أنَّ النـومَ يجفـوني

أجسُ يقظـانَ أطـرافي أُعـالجهـا

ممـا تحرَّقت في نـومـي بأُتُّـــون

وأستريـح الى كـــوبٍ يُطَمِّنُني

أن ليس ما فيـه مِن مـاءٍ بغِسـلـين

وألمس الجُـــدُرَ الـدكنـاءَ تخبرني

أنْ لستُ في مهمـةٍ بالغِيل مسكون

يا دجلـةَ الخير : خلِّني ومـا قسمت

لي المقـاديـرُ مـن لـدغ الثعـابين

الطالحـاتُ فمـا يبعثْنَ صالحـةً

ولا يُبعثـرن الاَّ كـلَّ مـأفـون

قراح ، ذلك انه كان فى منامه يشرب من «غسلين» ، وهو الماء الشديد الحرارة ، وفى الاصطلاح الدينى : ما يسيل من جلود الكافرين فى الجحيم لدى العالم الآخر ٠

وفى الصورة الثالثة : فهو وقد كان فى منامه يتخبط فى قفر موحش يعج بالاغيال والوحوش يكاد لا يصدق ـ وقد استيقظ ـ انه مستيقظ ٠ فهو يتلمس الجدران الداكنة المحيطة به فى ظلام الليل تأكدا من انه حي يقظان ٠

والراهناتُ بجسمي يَنْتَبِشن به

نبشَ الهوامِ ضريحاً كلَّ مدفون

* * *

واهاً لنفسيَ من جمعِ النقيضِ بها

نقيضَه جمْعَ تحريكٍ وتسكين(١٦)

جنباً الى جنبِ الآمِ أُقطّفُها

قَطْفَ الجياعِ جنى اللذّات يزهوني

---

(١٦) الحرف الاخير فى الكلمة العربية أما أن يكون محركا ، أو أن يكون ساكنا . أما أن يجمع الاثنين فى آن واحد فمن المستحيل . ولكن الشاعر فى هذه القطعة يتحدث عن جمع نفسه النقائض ، فهو فى الوقت الذى يكون منهمكا فيه بتجميع الآلام وقطفها كما يقطف الجياع الثمر من على الشجر فانه يبزها بجني اللذة وثمرها .

وهو الى ذلك يركب الخطر والهول في أشد أوقاته أمنا . ذلك ان حبه الحياة يحمله على المجازفات والمغامرات وكأنما هو بذلك يغرية على الموت . وهو يشبه هذه الاخطار بالغول الذى يركبه و « يتسنّمه » كيفما اتفق سواء رمى به الى الهوى ، جمع « هوة » أم انزله على « الواحات » .

وفى الابيات الثلاثة الاخيرة يقول : ليست البطولات أساطير أمجاد ، ولكنها خلاصة تماس بالاحداث ، وتمارس بالظروف ، وامعان فى هذه وتلك ، وتمرن عليها . وان المرء لا يولد لا جبانا ولا شجاعا . وانما يمر بالتجارب والعبر فيخرج منها بعصارة هى كل قوته على منازلة الايام .

وأركبُ الهولَ في ريعانِ مأمنَــةٍ

حبُّ الحياةِ بحبِّ الموتِ يغريني

غُولاً تسنَّمتُ لم أسألْ أكارعَـه

الى الهوى ، أمْ على الواحات ترميني

وما البطولاتُ اعجــازٌ وانْ قنعت

نفسُ الجبانِ عن العلياء بالهون

وانَّمــا هي صفــوٌ منْ مُمارَسَــة

للطارئات ، وامعَــانٍ ، وتمـرين

لا يُولَدُ المرءُ لا هرَّاً ولا سُبَعاً

لكن عصــارة تجريـبٍ وتلقـين

يا دجلة الخير : كم معنىً مزجت لـه

دمـي بلحمـي في أحـلى المـواعين(١٧)

---

(١٧) فى هذه القطعة حتى البيت :

والميتين وقد هيضت ضمائرهم   بواخز معهم فى القبر مدفون

يسترسل الشاعر فى وصفه المعاناة الشعرية التى تمخض بهـا بين الفترة والفترة ، فيقول : انه يمزج المعاني التي تعرض له فى القصيدة بدمه ولحمه ـ أى انها تصبح قطعة من كيانه ـ ثم يحاول

ألفيته فَرْطَ ما ألوى اللواةُ به
يشكو الأمرَّين من عُسْفٍ ومن هُون

صبها فى أحلى القوالب ، والمواعين ، جمع « ماعون » الآنية التى يفرغ فيها الطعام .

وفى البيت الثانى يشكو مما يعبث الكثيرون من دعاة الشعر والشاعرية بالمعاني والالفاظ ،ومما يلوون – أي يميلون ويزيفون – بها وان الشعر يشكو من ذلك الامرين العسف والجور ، ثم المهانة والتدني .

واجره الشوك ، أى جره عليه ، والضمير هنا عائد على الشعر والفاعل « الفاظ » ومرصفة مرتبة مصفوفة والضمير فى « اجرها » فى عجز البيت عائد الى « الفاظ » والمعنى ان ذلك النوع من الشعر المتكلف – السابق – يغدو وكأنه مسحول سحلا على وخز الاشواك ، فألفاظه لا تنهض بمعانيه ، وقوافيه لا تنهض بهما معا . فهو لذلك مكلف مصنوع بالعنت والاسفاف .

« ليل أخي ذبيان » : نسبة الى النابغة « الذبيانى » ، وانما نسب الليل اليه لمطلع قصيدته الشهيرة ، الجميل ، فى آل جفنة ملوك الشام :

كليني لهم يا اميمة ناصب و « ليل » اقاسيه بطيء الكواكب

أى ان الشاعر يسهر – وهو يعاني خواطره الشعرية – ليلا طويلا ساهرا ، كما تحضن الامهات الرواضع ولائدها ، تارة بالمسايرة والمجاراة ، وتارة بالغضب والثورة .

– معنى البيت التالي له انه – الشاعر – يعكف على هذه الخواطر عكوف الخالق المبتكر الذى يعيد ويصقل فى مخلوقه ليصنع منه مثالا كاملا ، وانه وهو يسهر الليل على هذا التكوين ليحس وكأن

أجرَّه الشوكَ الفاظٌ مُرَصَّفةٌ
أجرَّها الشوكَ سجعٌ شِبهُ موزون
سهرتُ ليلَ « أخي ذبيان » أحضنه
حضْنَ الرواضعِ بين العتِّ واللين
أُعيدُ من خَلقه نحتاً وخَضْخضةً
والنجمُ يعجب من تلك التمارين
حتَّى اذا آضَ ريَّان الصبا غَضِراً
مهوى قلوبِ الحسانِ الخرَّدِ العِين
أُتاح لي سُمَّ حيَّاتٍ مُرقَّطةٍ
تدبُّ في حَمأٍ بالحقد مَسْنون

النجم فى السماء يعجب من كثرة هذه التمارين التى يتعاطاها ٠

– وفى الابيات التالية للبيت السابق من القطعة حتى آخرها يعرب الشاعر عن المه العميق وثورته العارمة على حساده الذين شبههم بـ « حيات مرقطة » تعيش فى « حمأ مسنون » وهو الطين القذر النتن ، وبالغربان التى تنهش اللحوم ، وبالعراة الذين يتسترون على عريهم الروحي والادبي بشتمهم الآخرين ٠ ويتمثل عليهم بما تسترت به « حواء » عند خروجها من الجنة بورق التوت ، ويقول عنهم انهم « عائشون » على الهوامش من أهواء حاقدة ، ورغائب خسيسة ، ثم انهم ليموتون عن ضمائر مهيضة ذليلة ، تدفن معهم مليئة بالوخزات ٠

فهل بحسبِ الليالي من صدى ألمي
أني مَضيغَةُ أنيابِ السراحين
الآكلين بلحمي سُمَّ أغربَتٍ
وغُصَّةً في حَلاقين الشواهين
والساترينَ بشتمي عُرْيَ سوأتِهم
كخصف حوّاءَ دوحَ التُوتِ والتين
والعائشين على الأهواءِ مُنزلةً
على بيانٍ بلا هَدي وتبيين
والميِّتينَ وقد هيضت ضمائرهُم
بواخزٍ معهم في القبر مدفون

* * *

صنّاجةَ الأدبِ الغالي، وكم حُقَبٍ
بها المواهب سِيمَتْ سَوْمَ مَغبون(١٨)

---

(١٨) القطعة استمرار للسابقة وفيها يخاطب الشاعر ـ من باب التجريد ـ نفسه ويهون عليها ما تلقاه من جحود الجاحدين ، وحقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ، ويقول لها : انها وهى تنزل « السور اللاعنة » على كل رواسب المجتمع ، وعقده ، ومضاعفاته ، وعلى هياكله

ومنزِلَ السِورَ البتراء لاعِنَـــةً
من لـم يكن قبلهـا يومـاً بملعــون
جوزيتَ عنهـا بما أنت الصليٌّ بــه
هـذا لعَمري عطـاءٌ غـير ممنون !!
مـاذا سـوى مثلِ مـا لاقيتَ تأملـه
شمُ العرانـين من جَدع العرانـين
حامي الظعـائن لاحمدٌ ولا مقــة
وقـد يكون عـزاءً حمـدُ مظعــون

وأصنامه فى كل المجالات والميادين لجديرة أن تتلقى بصبر وترفع الجزاء الذى يتوقعه الثائرون الاحرار ٠

بل وانها ليجب عليها أن لا تتوقع الا هذا ، فهو ما ابتلى به على كر الدهور ، الشامخون الصاعدون ــ وكنى عنهم : بــ « شم العرانين » جمع « عرنين » ــ وهو ما صلب واشتد من عظم الانف ــ ويكنى بها عن شدة العزة والانفة ٠

ــ ويقصد بــ « حامي الظعائن » الطليعة ، والرائد تشبيها له بحماة الظعائن من العرب فى الجاهلية ، وهم الذين يحمون النســـاء فى هوادجهن والمعنى انه لا يتلقى حمداً على أتعابه الفكرية والادبيــة ما يتلقاه حامي الظعينة من ظعينته ٠

الديات جمع « دية » وهو ما كان ــ وما يزال ــ يدفع من مال أو حلال تعويضا عما يلحق بالجرحى أو القتلى أو المتضررين ٠ والابكار هنا النوق الصغار ، والعون الكبار ٠

لمن ؟ وفيمَ ؟ وعمَّن أنت محتملٌ
ثقلَ الديات من الأبكار والعُون ؟

* * *

ويا زعيماً بأن لم يأته خبرٌ
عمّا يُنشَّر من تلك الدواوين(١٩)

---

(١٩) في هذه القطعة حتى البيت :

لابد معجلة كف الخراب به بيت يقوم على هذى الاساطين

وفى القطعة التالية لها حتى البيت :

شلت يداك وخاست ريشة غفلت عن البلابل في رسم السعادين

نقد وتجريح لاساطين « النقد » العربى المزعومين ، والذين يخضعون النقد والتحليل ـ وهما أعلى مراتب الادب ـ الى عوامل خارجة عنه ، غريبة عليه ، فباعث حب أو كره لشخص وآخر تارة ، وباعث تعصب مقيت ذميم ، وباعث اقليمي ، وآخر سياسي ، وباعث جمود فكرى ، وباعث عقد نفسية تارات اخرى .

وهناك باعث آخر لا يقل عن تلك تأثيرا ، ان لم يزد عليها . وقد يلتقي معها أيضا ، وهو ما يجده هؤلاء المتصدرون مدارس النقد ومجالسه ، من صعوبة وعناء في تناول الشعر الذى يحتاج أكثر من غيره ـ لمتانته ، وعمقه وبعد الغور من فكرته وموضوعه ـ الى تفرغ ، وتمعن وفرط المام ، وبعد نظر . فهم والامر على هذه الشاكلة يخونون الامانة ، ويتهضمون الرسالة ، ويهينون الفكر ، فى تخطيهم الشعراء الاصيلين ، وفى تجاهلهم اياهم ، وفي طمسهم آثارهم الشاخصة ، وهم يزدادون افتضاحا فيما يضمرون ويعلنون ، عندما يفرطون فى

لك العمى ومتى احتجّت بأن قعدت
عن الموازين أربابُ الموازين

تناول الدرجات النازلة من الشعر والشعراء بالبحث ، وبالنقد ، وبالتحليل ، وبالتنويه أيضا فكأنهم نسب متنازله يفتضح أمر بعدها عن المراتب المتصاعدة بقدر انحدارهم عن سلالم الشعر والشعراء الاولين ٠

وهذه الطبقة تجرم ـ بالاضافة الى كل تجرماتها ـ الى الاجيال الناشئة فى المجتمعات العربية فيما تشوش عليهم من تضييع المقاييس وترجيح الموازين ، وفيما تطبع على أذهان الكثيرين من الشباب العربي البرىء من طابع التجهيل ، وميسم التغفيل ، وفيما توجههم الوجهة الظالمة ، وتركز فى نفوسهم الانحراف الادبي والفكرى ، وتدفعهم بدوافع الكفر والعقوق ٠

وفى الحقبة الاخيرة من هذا العصر ـ والى ذلك يشير الشاعر فى مطلع هذه القطعة ـ كثر تساؤل المتسائلين من طلائع الفكر العربي الخلاق ورواد الشعر الاصيل عن هذه الطبقة من ادعياء مدرسة النقد من ذوى الشهرة الخاطفة ، وعن مواقفها غير الامينة فيما تؤلف ، وتنشر، وتذيع٠ وتوجه بعض المتسائلين هؤلاء الى هذا الناقد منهم أو ذاك عن هذه البادرة فكان جواب البعض منهم أسخف من فعله وأكثر تفاهة وهو انه ـ أو انهم ـ لم يطلعوا على هذا الديوان أو ذاك من شعر هذا الشاعر أو ذاك ٠ وهم يريدون بذلك ما تعودوه من شعراء ناشئين أو مبتدئين ـ أو شعراء أعلى من هؤلاء من طلاب الشهرة وعشاق الضجيج ـ وهو أن يتلقوا منهم دواوينهم مرسلة بالبريد ، مهداة اليهم وهم فى صالوناتهم ، فما لم يصل اليهم عن هذا الطريق الهين المريح فلا يدخل فى نطاق مهامهم حتى وان كان ذلك الديوان ، أو ذياك ، لمن طبقت شهرتهم الآفاق فكأنهم ـ كما يخادعون ليسوا بمسؤولين أن يراجعوا ، ولكن أن يراجعوا ، ولا أن يسعوا ، ولكن

بل قد مشت لك كالاِصباح عابقةً

وأنت تحذرها حذرَ الطواعين

كفرتُ بالعلم صِفْرَ القلب تحمله

للبيع في السوق أشباهُ البراذين

أن يسعى اليهم ولا أن يكتبوا أو يراسلوا ، ولكن أن يكاتبوا ويراسلوا .

لقد حمل العبقرى الخالد « الخطيب التبريزى » جرابه على كتفه ماشيا طيلة أربعين ليلة حتى ورد على « أبى العلاء المعرى » ليستمع اليه ، ويدون عنه ، ويشرح ديوان شعره ، وبعد الف وخمسين يعتذر أساطين النقد العربي المدعون بأنهم لم يتسلموا هذا الديوان أو ذاك وهم متكئون على الوسائد الوثيرة ، فلذلك هم معفوون .

فى هذا المورد من القطعتين المتلازمتين يستعرض الشاعر كل ذلك ، ويرد عليه ، ويحمل المجتمعات الفكرية والادبية وزر هذه الطبقة . ويوجز مردات مواقفهم بارجاعها الى موت الضمائر . واندثار الذمم وهو يشبه ميادين النقد الخائن ، والسفساف ، هذا بالملاحم غير المتكافئة ، والتى يجهز بها النقاد المزعومون بما لهم من أسلحة فتاكة من القاب ، وكنى ، وصحف منشرة ، ودعايات رائجة على زيفها ، على عبقرى وآخر ، وخنذيذ وخنذيذ ، ومجلى وسباق ، ومن هؤلاء الضحايا من يصمد لكل ذلك ــ وهو النادر ــ ومنهم من يعالج النزع الاخير ، ومنهم من يموت قبل أوانه .

وهو يشبه هذا النفر الناقد الحاقد ، بالرسام الذى يتعمد أن لا تمر ريشته على بلبل غريد ترسمه كرها لها ، وان تتخطاه الى قرد من « السعادين » .

كانت عباقرةُ الدنيا وقادتُها
تأتي المورِّق في أقصى الدكاكين

تلمُ ما قد عسى أن فات شاردة
عنها ، ولو كان في غيَّابة الصين

لهفي على أمَّةٍ غاض الضميرُ بها
من مدّعي العلمِ ، والآدابِ ، والدين

موتى الضمائر تُعطي الميتَ دمعتها
وتستعينُ على حيٍّ بسكّين

لابُدَّ معجلةٌ كفُّ الخراب به
بيتٌ يقوم على هذي الأساطين

* * *

جُبْ أربعَ النقد، واسأل عن ملاحمها
فهل ترى من نبيغٍ غيرَ مطعون

وقفْ بحيثُ ذوو النزعِ الأخير بها
وزر قبورَ الضحايا والقرابين

تـرَ الفطـاحلَ في قتـلٍ على عمـدٍ
هـمُ الفطاحلُ في صـوغ التآبـين
مِن ناكر علماً تُهدى الغـواة بـه
حتى كأن لم يكن في الكاف والنون
أو قـارنٍ باسـمه خُبثاً وملأمـةً
مـن ليس يومـاً بضِبعيه بمقـرون
تشفّيـاً : انَّ لمـحَ الفكـر منطلقـاً
قـذىً بعـين دعيٍّ الفكـر مأفـون
عادى المعاجمَ وغـدٌ يستهـين بهـا
يُحصى بهـا « أبجديات » ويعدوني
شُلَّت يداكَ وخاست ريشـةٌ غفلـت
عـن البـلابـل في رسـم السعـادين

* * *

يـا دجلةَ الخـير : ردّتني صنيعتهـا
خوالجٌ هُنَّ من صنعي وتـكـويني(٢٠)

---

(٢٠) معنى البيت : ان الشاعر يحس نفسه صنيعة لاحاسيس وخلجات ،

ان المصائبَ طوعاً أو كراهيةً

أعدن نحتي ، كما أبدَعْنَ تلويني(٢١)

أرينني ان عندي من شوافعها

اذا تباهى زكيٌّ ما يزكّيني(٢٢)

وجبَ شتى مقاييسٍ أخذت بها

مقياسَ صبرٍ على ضرٍّ وتوطين(٢٣)

ونبضات فكرية كان يتوهم انها كلها من صنعه وتكوينه ، أى انه فى الحقيقة كان مسخرا لها فى ابتعاثها من مراقدها ، نازلا على حكمها وارادتها فى الانبعاث ، متأثرا بها ، متفاعلا واياها بعد ذلك .

(٢١) معناه ان المصائب بما يثرنه من تجاريب ، ومن خبر وعبر تعيد من « نحت » المرء وتحسن من « تلوينه » ومن تكوينه .

(٢٢) هذا البيت تخريج عن السابق ومعناه : ان تلك المصائب كانت خير شفيع ، وأحسن مزك له يوم يتبارى المشفعون ، ويتسابق المزكون .

(٢٣) معنى البيت وتاليه : ان الشاعر يجد مقياس الصبر والصمود على الازمات والمحن فى الطليعة من كل مقاييس الرجولة وتكوين الشخصية .

حتى انه ـ نتيجة منطقية لذلك ليعد معيار التفاضل و « المباهاة » بين الناس ـ وبخاصة بينه وبين غيره ـ هو مدى قدرته هو على معاناة خصائص البؤس والحرمان والانتفاع بعواقبها ، ومدى قدرة الآخرين على معاناة « النعمة » والبطر وتحمل أوزارها .

وراح فضلُ الذي يبغي مباهلتي
نعمى تعنّيه ، من بؤسى تعنيني

* * *

يا دجلةَ الخيرِ : شكوى أمْرها عجب
انّ الذي جئت أشكو منه يشكوني(٢٤)
ماذا صنعتُ بنفسي قد أُحقت بها
ما لم يُحقه بـ «روما» عسفُ «نيرون»
ألزمتها الجدَّ حيث الناسُ هازلة
والهزلَ في موقفٍ بالجدِّ مقرون
وسمتُها الخسفَ أعدى ما تكون له
وأمنع الخسفَ حتى من يعاديني

---

(٢٤) في هذه القطعة حتى البيت :
ما اضيع الماس مصنوعا ومنطبعا حتى لدى أهل تمييز وتثمين
يستعرض الشاعر نفسه بشيء غير قليل من الصراحة ، وينقدها ، ويحملها هى تبعات ما الزمت به نفسها ، من تصورات خاطئة للحياة ، ومن تشدد فى اعطاء المفاهيم ، والمقاييس ، والمعايير الحياتية ، أكثر مما تتطلبه من قيود وحدود ، وانه كان فى ذلك وفى غيره بمثابة « نيرون » الطاغي ، حتى لكأن نفسه وما أحاق بها كانت « روما » المحترقة .

وَرحتُ أظمي واسقي من دمي زُمراً
راحت تُسقّي أخا لؤمٍ وتُظمِيني
وقلتُ بالزهدِ أدرى أنّه عنتٌ
لا الزهدُ دأبي، ولا الا مساكُ مِن ديني
خَرطَ القتاد أمنّيها وقد خُلِقتْ
كيما تنامَ على وردٍ ونسرينِ
حراجةٌ لو يُرى حمدٌ يرافقها
هانتْ وقد يُدَّرى خطبٌ بتهوينِ
لكنْ رأيتُ سِمات الخيرِ ضائعةً
في الشرِّ كاللثغ بين السينِ والشينِ
ما أضيعَ الماسَ مصنوعاً ومنطبعاً
حتى لدى أهلِ تمييزٍ وتثمينِ

* * *

يا دجلةَ الخير : هل أبصرتِ بارقةً
ألقت بلمحٍ على شطَّيكِ مظنونِ ؟(٢٥)

---

(٢٥) معنى البيت وما بعده هو تلميح الى الغموض والشك والحيرة التى

تُلكمْ هيَ العمرُ ومضٌ من سَنَى عدمٍ

ينصبُّ في عَدَمٍ في الغيبِ مكنـونِ

تحيط بفلسفة الموت « والعدم » والشاعر يشبه العمر الذى ينبعث من مجهول ، وينتهي الى مجهول بالبارق الذى يلمح التماحا خاطفا على شطآن دجلة لينطفىء فى لججها وكأنه ومض من ومضات الشك يغوص فى لجة الغيب .

وفى البيتين الآخرين : امعان فى الارتياب بالحقائق المجردة بحيث ان الشاعر يتساءل ـ مرتابا ـ عما اذا كان فيما وراء انجلاء الشكوك ، والريب ، حقيقة تلمع خالصة دون مزاج من التلميحات والتخمينات ؟

ام ان هذه الشكوك حتى اذ هى تبدو وكأنها قد انجلت وتوضحت ما تزال خليطا من أوهام وتخيلات وتخمينات على حد سواء مع اللون الغامق ـ كالالوان « الجون » بضم الجيم جمع جون بفتحها وهو اللون الاخضر ، الذى يميل لاشتداد خضرته الى السواد والى السمرة الغامقة ، والى ما بين هذا وذاك من الوان .

والابيات التالية حتى البيت :

لم يوهب الفكر قانونا يحصنه من الظنون ، ومن سخف القوانين

تصوير وتلوين لشتى الهواجس ، والظنون التى تتراوح بين الشك واليقين فيما تتمخض به نفس الشاعر من محاولة لمعرفة ما اذا كان قوام الحياة الدنيا هو الرغد ، أم القناعة والكفاف ، أم العزوف عن كل ملذاتها .

وهو يستشهد على ذلك بأنه يشتهي ـ حينا ـ ان تكون له كنوز قارون ، ويكدر عليه مشتهاه هذا عدم كفاية هذه الكنوز كلها لكي يكون المرء سعيدا بها .

ثم يعدل عن ذلك الى الاستخفاف بها وبالمال والبسطة فى العيش فيذكره ذلك ان : « الخصاصة » والفقر فيما يجرانه على الانسان من

يا دجلةَ الخير : هل في الشكِّ منجلياً

حقيقةٌ دون تلميحٍ وتخمينِ ؟

أم خولطت فيه أوهامٌ وأخيلةٌ

كما تخالطت الألوان في الجُون

أكاد أخرج من جلدي اذا اضطربت

هواجسٌ بين إيقان وتظنين

أقول لو كنزُ قارونٍ وقد علمتْ

كفَّاى أن ليس يُجدي كنزُ قارون

تعاسة الحياة ، وذل الاحتياج تشبه « السرطان » القتال الذى يتأكل جسد الانسان وروحه معا ٠

ثم يشيح عن ذلك الى القول بالاخذ بالكفاف وبالقناعة فيصدمه « رحب الحياة » وانفساح مجالات التصرف ، وتوسع آفاق التذوق ، والترفه ، والراحة فيها ، بينا يكون « الكفاف » فى هذه المنطلقات الرحبة أشبه شىء بأقوات « المساجين » فى سوحهم الضيقة ، ودروبهم المسدودة ، وهويطلب تخلصا من كل هذه الظنون والهواجس المربكة للمرء فى حياته : أن يتوسع الفكر البشري الى درجة تتخلص معه وتتقلص كل « القوانين » الراهنة فى هذا العالم ، والمليئة بالسخف وبالظلم ، والرزاحة هى نفسها تحت أعباء الشكوك ، وأثقال الظنون وكوابسها ٠

أقـول : مـا كنزُ قـارون ، فيدمغني
أنَّ الخَصاصةَ من بعض السراطين
أقـول : ليت كفافـاً والكفافُ بـه
رحبُ الحيـاةِ ، وأقواتُ المساجين
أقـولُهـنَّ وعنـدي علمُ ذي ثقـةٍ
ان ليس يـؤخـذ علـمٌ بـالأظـانين
وانَّما هي نفسٌ همُّ صاحبهـا
أنْ لا تُصدِّقَ مدحوضَ البراهين
لـم يوهب الفكرُ قـانونـاً يُحصنـه
من الظنـون ، ومن سُـخف القوانين

* * *

يـا نـازحَ الـدارِ نـاغ العُود ثانيـةً
وجِسَّ أوتـاره بـالـرفـق واللـين(٢٦)

---

(٢٦) فى هذه الابيات الثلاثة من القطعة يرقق الشاعر من « وتر الشعر » ومن « أنغامه » راجيا من ذلك أن تستل هذه « النجوى » المتطاحنة «الحزازات» من صدور تغلي بها الحزازات عن غير ما سبب ، وبدونما طائل ، وان تخفف هـذه « المناغاة » السمحـة من « حمى » نفوس حاقدة « متعنترة » ، مطبوعة على القسوة ، والغلظة .
و « صفين » و « حطين » من المعارك الاسلامية الشهيرة .

لعلَّ نجوَى تُداوى حرَّ أفئدة
فيها الحزازاتُ تَغلى كالبراكين
وعل عقبى مناغاةٍ مُخفّفة
حمّى عناتر « صفينِ » و « حطينِ »
ويا صدى ذكرياتٍ يستثرن دمي
بهِزّةٍ جمّةِ الألوان تعروني
أشكو المرارةَ من اِعناتِ جامحةٍ
منها اِلى سمحةٍ برٍّ فتَشكيني
مثلَ الضرائرِ هذي لا تطاوعني
فأستريح الى هذى فتُؤويني

* * *

ويا مَقيلاً على غربيِّها أبداً
ذكراه تعطف من عودي وتلويني (٢٧)

---

(٢٧) المقصود بـ « المقيل على غربي دجلة » البيت الذى كان يقيم فيه السيد « الجواهري » سنين عدة فى جانب الكرخ ، وهو يطل اطلالة رائعة على دجلة فى أوسع دوائرها ، ومن أجمل مواقعها ، وفى هذا العش الجميل « قضى الشاعر أجمل وأهنأ فترة مرت عليه من حياته ،

عشُّ الأهازيجِ من سجعي يُردِّدها
سجعُ الحَمامِ وترجيعُ الطواحين

جمعا لشمل ، وكفافا فى العيش ، ووفرة فى الانتاج هى فى جملتها عيون من أشعاره .

ففيه أخرج خلال الاعوام الخمسة حتى عام ١٩٤٧ الى النور : قصيدة « ستالينغراد » :

نضت الروح وهزتها لواء وكسته، واكتست منه الدماء

وقصيدة « دجلة فى الخريف » :

بكر «الخريف» فراح يوعده ان سوف يزبده ، ويرعده

وقصيدة « المقصورة » :

برغم الآباء ، ورغم العلى ورغم كرام انوف الملا

وقصيدة « جمال الدين الافغاني » :

هويت لنصرة الحق السهادا فلولا الموت لم تطق الرقادا

وقصيدة « عدنا وقودا » :

ولى شباب فهل يعود ولاح شيب فما يريد

وقصيدة « سواستبول » :

يا « سواستبول » سلام لا ينل مجدك ذام

وملحمة « عالم الغد » الشهيرة والطويلة :

عالم الغد يا رهين ضباب ودخان من نفثه وعذاب

وقصيدة « أبو التمن » ومنها المقطع المعروف ومطلعه :

قسماً بيومك والفرات الجاري والثورة الحمراء والثوار

الى جملة قصائد ومقطوعات كثيرة غيرها .

والشاعر فى هذه القطعة حتى نهاية القصيدة يتفجر دما ، ولحنا ،

وسِدْرةٌ نبعُها خضدٌ ، وساقيـــةٌ
وباسقُ النخـل معقـوفُ العراجـين

وحرفا وهو يجتر الذكريات العذبة ، والاحاسيس الحلوة فى دارته هذه : فهي « مجمع الشمل » من صحب عزيز عليه فجع به ويريـد بذاك أخاه « الشهيد جعفر » فى وثبة كانون ١٩٤٨ ، ووالدته التى توفيت فى السنة الاولى من تغربه عن العراق ، ثم من صحب ابتلى به ، وابتلى بهم وهم أهله وبنوه وذووه العائشون معه حتى الآن ٠
وهو معبر لنسائم «الاصباح» تصفقه الغصون الندية ـ كما تصفق الخمرة اذ تمزج ـ وتسقيها اياه ٠ وهى « رؤى أصل » بضمتين جمع أصيل أواخر الغروب وأوائل العشـى ٠ تراوحـه ، وهي « سنى » الشفق الحلو يغاديه ٠
وهي « مداحة » الرمل الممتدة على شواطىء دجلة مرمى بصره ، حيث تلهو بها « اصيبية » تخوض فيها فتلهيه وتؤنسه ٠
وهى ضجة « العصافير المفزوعة » ، فى أكنانها وأعشاشها قبيل الليل اذ تنطلق متزاحمة متصاخبة الى مآويها ٠ واذ تؤلف فى ضجيجهـــا منطقا جميلا انيسا ما هو بالفصحى فيفهم ، ولا هو من لطف وقعه ، ورخامة رجعه، بالمبهم الملحون ٠
وفى الشطر الثاني والاخير من هذه القطعة وأوله :

ويا ضجيعي كرى أعمى يلفهما لف الحبيبين فى مطمورة دون

يتصاعد صارخا ـ بحزن ولوعة ـ نغم القصيدة وهو يتفجر عن أحر ما انهت اليه تلكم الذكريات ، وأوجع ما صارت اليه ، بانتهاء حياة أعز مخلوقين عليه :
وهما الآن « ضجيعا كرى أعمى يلفهما » معا ورأس الى رأس ، وروحا الى روح فى «مطمورة دون» هوقبرهما الحزين فى مقبرة «آل الجواهري» فى النجف وهو يشتد فى حزنه الى غاية مـا يتصوره الحزين اذ يقول :

ومُسْتدقَّ صخورٍ من مآبرها
رؤىً تَظلُّ على الحالينِ تشجيني

من أنملِ الغيدِ في حسنٍ تُتمِّمه
فانْ تعرَّتْ فمن أنياب تنيِّن

يا مجمعَ الشملِ من صحبٍ فُجعتُ به
وآخرٍ رحتُ أبلوه ويبلوني

ويا نسائمَ اصباحٍ تصفِّق لي
ندى الغصون بليلاتٍ وتسقيني

ويا رؤى أُصُلٍ نشوى تراوحني
ويا سنى شفقٍ حلوٍ يُغاديني

ان طيفي هذين الحبيبين لا ينفك أبدا يطيف به ، وانه وقد تراءى له الطيف « ماشيا » اليه على مهل ليحييه ، وليجدد عهدا به ، فانه – السيد الجواهري – ليترفع اجلالا لهذا الطيف ، واعتزازا به من أن يفتح عينيه ليراه ، اذ ان فى ذلك اضاعة بعض الشيء للرؤية الكاملة ، وانما « يطبق جفنا على جفن » ليراه على حقيقته فى ذهنه ، فى قلبه ، فى صفاء الرؤية وهي تجمع اليها هذا وذاك ، حتى لكأن بريق الموت الخاطف المهيب المخيف يعيشه ، فيلجأ الى أن يراه على تلك الشاكلة من الرؤيا .

ويا مَداحةَ رملٍ في مَخاضتها
راحت أُصيبيةٌ تلهو فتُلهيني
وضجَّةٌ من عصافيرٍ بها فزعٌ
على أكنَّتها بين الأفانين
ومنطقٌ ليس بالفصحى فتفهمه
يوماً وما هو من حسٍ بملحون
لا ضيرَ كلُّ أخي عشٍ مفارقُه
وأيَّ عشٍّ من البازي بمأمون

* * *

ويا ضجيعَي كرىً أعمى يلفُّهما
لفَّ الحبيبين في مطمورةٍ دُون
حسبي وحسبُكما من فرقةٍ وجوىً
بلاعج ضَرِمٍ كالجمر يَكويني
لم أعْد أبواب ستين ، وأحسبني
همَّا وقفتُ على أبواب تسعين
يا صاحبيَّ اذا أبصرت طيفكما
يمشي اليَّ على مَهلٍ يحييني

أطبقت جَفناً على جفن لأبصُره
حتى كأنَّ بريقَ الموت يُعشيني
إنّي شممت ثرىً عفناً يضمّكما
وفي لُهاثي منه عِطرُ « دارين »
بنوةً واِخاءً حلف ذى ولَعٍ
بتربةٍ في الغد الداني تغطيني
لقد وددتُ وأسرابُ المنى خُدعٌ
لو تسلمان وأنَّ الموت يطويني
قد متُّ سبعينَ موتاً بعد يومكما
يا ذلَّ من يشتري موتاً بسبعين
لم أقوَ صبراً على شجوٍ يرمّضني
حرَّانَ في قفص الأضلاع مسجون
تصعدتْ آهٍ من تلقاء فطرتها
وأردفت آهةٌ أُخرى بآمين
ودبَّ في القلب من تاموره ضرمٌ
ما انفكَّ يُثلج صدري حين يُصليني

براغ ...

أو

حوار ...

نظمها الشاعر صيف عام ١٩٦٨ .. قبيل عودته من منفـاه في جيكوسلوفاكيا ، يحيى فيها « براغ » ، ويشيد بجمالها ، وسمو مجتمعها ، وبما تركته فى نفسه من انطباعات حلوة .. وذكريات جميلة .

أطلتِ الشوط من عُمْري

أطال الله من عُمْرِك

ولا بُلّغتُ بالشرِّ

ولا بالسوء من خبَرِك

حسوتُ الخمرَ من نَهَرِك

وذقت الحلوَ من ثمرك

وغنّتني صوادحُك النشاوى

من ندى سحرك

ولم يبرح عليّ الظلُّ .. بعد

الظلِّ من شجرك

كلا حاليكِ عِشتُهما

قريرَ العين في سُرُرِك

ففي الامساء من خفرك

وفي الاصباح من خدرك

كأن تنابزَ القُبلات

خفقٌ من صدى سمرك

وأَحـلامـاً مهـوِّمـةً

غـلالاتٌ لمـؤتَـزرك

وأعـينُ أنجـمٍ حـيرى

بهـا عِـوزٌ الى حِـورك

* * *

ألا يـا مزهـر الخُلـد

تغنّى الـدهـر في وتـرك

ويـا امثـولـةَ اللطـف

مشتْ دنيـاً عـلى أثـرك

ذكـا في تـربـك العطـر

ودبَّ السحـرُ في حجـرك

فلـو صيغـت دُنىً اخـرى

لمـا كـانت سـوى كِسَرك

ولـو أنّ المنـى خمـرٌ

لـكانـت سؤرَ معتصرك

ولو صوّرتِ كان الخلق

والابداع من أطُرك

* * *

وقائلة : لقد غالَت

دعاةُ السوء في ضجرك(١)

---

(١) فى هذه القطعة من القصيدة حتى آخرها يجرد الشاعر من نفسه مع نفسه حوارا متواصلا ـ على لسان شخص آخر هو « قائلة » القول المفترضة ، وفى هذا الحوار يصور أدق تصوير نوازع النفس المختلفة لحد ما يقربه من التناقض فيما يبدو للناظر اليها على حدة ، وبسطحية ، وبدون تعمق فى تحليل ، ولا تمعن فى ارجاعها الى اصولها ، فعلى لسان هذا الشخص « المحاور » المفترض يعدد الشاعر ما يأخذه عليه مثل هذا النفر ذي النظرة العابرة من افراط فى الضجر والقلق ، ومن زيادة فى نشدان التكامل ، وفى تطابق الشخصية ، ومن انه يريد أن تتنزل الدنيا ، والناس ، والمجتمعات على الصورة التى يتخيلها هو ، والتى يعيشها بنفسه ، وكذلك فيما يفترضه من الطباع . وان فى سمعه رجات تمنعه من الاستقرار على رأي ناقد وقطعي فيما يسمعه عن الناس ، وعن الاشياء ، وفيما يصدر عن ذلك من أحكام ، وان رجات مثلها فى بصره تمنعه عن تكوين الصورة المنطبعة عليه لهذا الشخص أو غيره ، ولهذا الشىء وما عداه ، وان كل هذا وذلك ناتج عن « الملل » الذى يتحكم به ويستحوذ عليه .

ويزيد فى تصوير هذه المآخذ والمطاعن اذ يجري على لسان « القائلة » المحاورة ، ما تبعثه شقة التباين البعيدة بين الافراط فى الركون والدعة ، والتطامن ، وبين المأثور عنه من افراط فى العنف ،

وأنّك تنشد الدنيا
منزّلةً على فكرك

والمجازفة، والمخاطرة ، لحد ان ذلك ينقض هذا، ولحد ان«العين» لتكاد تنبو عنه وهو « يتطامن » لدرجة « الخور » والاستسلام ، اذ هو يجمع الى ذلك ثورة فى الغضب ، وسورة فى التمرد ، حتى لتكاد « النار » تخاف من « شررهما » •

واذ يستكمل الشاعر هذه الانطلاقة من « الحوار » واذ يجرى على لسان المحاور ما هو مأثور عنه من حالات متخالفة ، متباينة يعود ـ وعلى لسانها أيضا ـ ليعرض الحال الراهنة التي تجده عليها ـ محاورته ـ فىالوقت الحاضر والتى تتخالف مع كل الحالات المأثورة عنه فى الصورة السابقة من انسجام مع نفسه ، ومع الالوان المنبعثة عنها • وانه رضي البال فى « حله » وفى « سفره » ، وانه وهو فيما يبدو وكأنه سقر من وحشة الغربة « يغني الخلد مرتفقا » ، وانه وهو فى « وبر » من خشونة العيش يهدي الناس « الخز » الناعم من أشعاره وأغانيه • وانه وهو على مثل وخز « الابر » من آلامه ، يسقيهم الشهد الحلو ، منها •

وانه و « ثليج الشيب » فى الشعر يغمر هامته • يبدو فىالصبابة من لواعجه وكأنه فى حرارة الصبا ، وجمرة الشباب •

وان شفيف الغيم من كدره ليبدو وكأنه « الطف من سنا الصحو » فيما ينعكس بنعومة ورقة على قوافيه المرحة •

وينهي « القائلة » حوارها هذا بتعجبها من هذا التشابه و « التساوى » فى حجوله وهو فى هذه المرحلة من العمر ومن الغربة، ومن الالم مع أوضاحه وهو فى غرارة شبابه ومرحه وطمأنينته •

ثم يجيء دور الشاعر نفسه ليجيب على تساؤلات نفسه أيضا ـ على لسان المحاور المفترض ـ وليقول لها : ان كل ذلك نتيجة منطقية ، ورياضية ، لتبدل المجتمعات ، ولاختلاف البيئات ، ولاثرها فى تبدل الطبائع ، وانتقال النفوس من حال الى حال •

وأطبـاعَ الـورى حُلَـلاً

موشّـاةً عـلى قـدرك

ملـولُ النفس .. في سمعكَ

رجّـاتٌ .. وفي بصـرك

وأنّكَ في التطـامُنِ تنقض

المـأثـورَ عـن خطـرك

تخـاف « النارُ » من شـررك

وتنبـو العـينُ عـن خِورك

وتُعيـي الفكـر مـرقـاتـك

ان قيسـت بمُنحـدَرك

جـرى مثـلٌ بمُصطبـرك

وآخـرُ سـار في بطـرك

وهـذا أنـت منسـجـمٌ

مـع الألـوان في صُـورِك

وينعطف اليها ليقول :

هلمي خالطي بشري تفـري أنت من بشـرك

رضيُّ البـال في حِلّـكَ

حلوُ السجـعِ في سَفَرِكَ

تُغنّى الخلـد مُـرتفقـاً

وأنـت تُخـالُ في سقَرك

وتُهدى « الخزّ » مـن وبركَ

وتسقى الشـهـد من أُبَرِكَ

أحـرُّ مـن الصبـا وهجـاً

ثليجُ الشيب في شعَـرِكَ

والطفُ مـن سنى صفـوٍ

شفيفُ الغيـمِ من كـدركَ

فسبحـان الـذي سـوّى

حجـولك ملتقى غـرركَ

* * *

أقـول لهـا : وهـل وطَري

فُديتِ ـ ينـال من وطركَ ؟

أوِردكِ كان عن صدري ؟

اوردي كان عن صَدَرك ؟

انفعك كان من ضرري ؟

أنفعي كان من ضررك ؟

أامّا كنتِ من نظري ؟

أامّا كنتُ من نظرك ؟

ألم تكُ صورة أُخرى

مواسطةٌ بمقتدرك ؟

هيبكِ البحرَ تيارُكِ

مشدودٌ بمُنحسَرِك

أليس له « كواسجُه » ؟

اليس به سوى دررك ؟

فديتكِ انني فيما

أُبدِّل غير منتظرك

مشيتُ على خُطى عِبرَي

فظلّى أنتِ في عِبرك

أذنبــي أنّ مُختَبـرى
هـدانـي غــير مُختَبـرك ؟
وأنّــي عشــتُ مجتَمعــاً
أمنــتُ بـه .. على حـذرك ؟
لقــد نقّلتُ مــن نظـري
فجــاء بغــير مـا نظـرك
هلمّــــي خالطي بَشَـري
تفـرّي أنتِ مـن بشـرك !!

بريدُ الغربة ...

نظمت عام ١٩٦٥ .. وقد أرسلها الشاعر من « براغ » الى عائلته ببغداد ، وقد كانت عائدة اليها من جيكوسلوفاكيا لأول مرة ، بعد غربة طالت أعواماً .

لقد أسرى بيَ الأجلُ وطول مسيرةٍ مَلَلُ
وطول مسيرةٍ من دون غاي مطمعٌ خَجِلُ
على انى - لأن يُنهي غدٌ طولَ السرى-وجِلُ
تماهل خشيةً وونىً وعُقبى مهلهِ عجَلُ
وقُطّعَ خطوُهُ جنفاً كما يتقاصرُ الحَجَلُ
أشاع اليأسَ بى عُمْرٌ وكنتُ وكلُّهُ أملُ
وعُمرُ المرءِ فضلُ منىً بها ما شَقَ يُحتَمَلُ
فان ولّت فلا ثقةٌ ولا حول ولا قِبَلُ

* * *

أقول وربما قولٍ يُدَلُ به ويُبتَهِلُ
ألا هل تُرجِعُ الاحلام ما كحلت به المُقلُ
وهل ينجابُ عن عينيَ ليلٌ مطبقٌ أزَلُ
كأن نجومَه الاحجارُ في الشطرنج تنتقلُ
يلاحق بعضُها بعضاً فما تنفكُ تقتتلُ
ألا هل قاطعٌ يصلُ لما عيَّت به الرُسُلُ

* * *

ويا أحبابي الأغلَين من قطعوا ومَن وصلوا

ومن هم نُخبةُ اللذّاتِ عندي حين تنتخلُ
هُمُ إذ كلُ مَن صافيتُ مدخولٌ ومنتحلُ
سلاماً كلُهُ قُبَلُ كأن صميمها شُعَلُ
وشوقاً من غريبِ الدارِ أعيَتْ دونهُ السُبُلُ
مقيمٍ حيثُ يضطربُ المنى والسعيُ والفشلُ
وحيث يُعاركُ البلوى فتلويهِ ويعتدلُ
وحيث أديمُهُ يَبَسٌ وحيث جِنانُه خَضِلُ
واذ نَضُبَتْ أفاويقُ الصِبا فهِباتُها وشَلُ

* * *

سلاماً من أخي دنفٍ تَناهت عنده العِللُ
وحيدٍ غيرَ ما شَجَنٍ بلوحِ الصدرِ يعتملُ
وذكرى مرّةٍ حَلِيت بها أيامُهُ الأُولُ
تُعاودُه كفيءِ الظلّ رؤياها وتنتقلُ
وحيدٍ بالذي غنّى وساقي يُضرب المثلُ
وفيما قال من حَسَنٍ وسيءٍ يكثرُ الجدلُ

* * *

PA۱۰۰۰۵/۲۴۳۱

سلاماً أيُّها الثاوونَ انّي مُزمِعٌ عَجِلَ
سلاماً أيُّها الخالون انَّ هواكُمُ شُغُلُ
سلاماً أيُّها الندمانُ اني شاربٌ ثمِلُ
سلاماً أيُّها الأحبابُ انَّ محبةً أمَلُ
سلاماً كلُّهُ قُبلُ كأنَّ صميمَها شُعَلُ

١٩٦٩/٥٠٠٠/٨٩

١٩

الثمن ٣٠٠ فلس

طبع الغلاف في مؤسسة رمزي - بغداد - تلفون ٣٨٠٥١

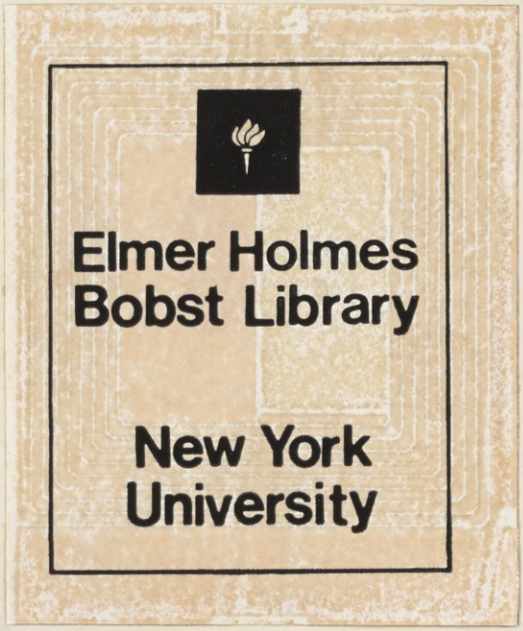
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 01242 8408
PJ7840.A85 B3
Barid al-

PJ
7840
.A85
B3
c.1